ديــوان
ماري عجمي

آفاق ثقافية

(٢)

رئيس مجلس الإدارة
عصام خليل
وزير الثقافة

المشرف العام والمدير المسؤول
توفيق أحمد
المدير العام للهيئة العامّة السوريّة للكتاب

الإشراف الطباعي
م . زياد العوابدة

جمع وتحقيق
عيسى فتوح

ديــوان
ماري عجمي

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة — دمشق ٢٠١٦

آفــاق ثقافيــة

العــدد (٢)

ديوان ماري عجمي / جمع وتحقيق عيسى فتوح.– دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م.– ١٤٨ ص؛ ٢٠ سم.
(آفاق ثقافية؛ العدد ٢)

١– ٨١١.٩٥٦١ ع ج م د ٢– العنوان ٣– عجمي
٤– فتوح ٥– السلسلة

مكتبة الأسد

ماري عجمي
١٨٨٨ – ١٩٦٥

بقلم: عيسى فتوح

حينما أردت أن أكتب عن ماري عجمي، لاح لخاطري شريط طويل مما كتبته عن هذه الأديبة الرائدة المناضلة يوم كنت أول من دعا للكتابة عنها، بعد أن ظن الكثيرون أنها فارقت الحياة، في حين أنها كانت لا تزال تعيش في منزلها في حي «باب توما» بدمشق القديمة، بعيدة عن الناس والأضواء والصحافة والأدب، مع أختها إيلين، عازفة البيانو الشهيرة، لا تفتح بابها لإنسان إلاّ للأخوات «عويشق» اللواتي كنّ جارات لها.

كنت عام ١٩٥٦ طالباً في صف البكالوريا، في ثانوية (الآسية) الأرثوذكسية بدمشق وفي يوم كنت عائداً إلى البيت، فلمحت في واجهة مكتبة «جورية» الصغيرة كتاباً يحمل هذا العنوان «ماري عجمي.. في مختارات من الشعر والنثر» وعلى غلافه هذان البيتان للعلامة فارس الخوري:

يــــــا رجـــــال العبقريــــــهْ سـلـــجلوا هـــذي الـــشهاده

إن مـــــــاري العجميّــــــــــه هـــــــي مـــــــيّ وزيـــــــاده

ولما سألت صاحب المكتبة عن سعره قال: « خمس ليرات سورية» مع أن عدد صفحاته هو ١٠٤ صفحات، فترددت في شرائه لأن ثمنه باهظ جداً بالنسبة لطالب لم يكن مصروفه الشهري يتجاوز خمس ليرات، ولما رآني صاحب المكتبة ذو الوجه الأسمر النحيل، راغباً في الكتاب قال: «خذه وادفع ما تشاء» فدفعت له نصف ليرة كانت هي كل ما في جيبي، وعدت إلى البيت فرحاً مغتبطاً بهذه المختارات، أقرؤها بنهم لا يرتوي وجوع لا يشبع أحملها في حقيبتي المدرسية يومياً، أطالعها في الفرص بين الدروس، إذ أنتحي زاوية مهملة، لا يصل إليها شغب المشاغبين أو صراخ المتشيطنين من أولئك العفاريت الذين كان همهم الركض والقفز وإثارة الفوضى!.

لقد وقع حب تلك الأديبة في نفسي منذ ذلك اليوم، وكم فرحت عندما عرفت أن منزلها لم يكن يبعد عن مدرستي غير بضعة أمتار، ولما حدثت صديقاً لي عن رغبتي في التعرف إليها قال: تعال نقرع بابها، فإما أن تستقبلنا، وإما أن تعتذر، فنعود أدراجنا. وفعلاً تم لنا ما أردناه، إلاّ أننا عدنا بخفي حنين، دون أن نعرف سبباً للرفض، واعتقدنا أنه ربما يعود إلى كوننا حديثي السن، فكيف تستقبل أديبة في السبعين من عمرها طالبين ناهضين، ليس لهما باع طويلة في الأدب! لكن يكفيني على كل حال، أنني نفذت رغبتي المكتومة،

واسترحت مما كان يؤرقني. وبعد أن تخرجت في جامعة دمشق عام ١٩٦١ وعُينت مدرساً في مدينة إدلب القريبة من حلب، شاءت الظروف أن أتعرف على الأديب الكبير سامي الكيالي (١٨٩٨–١٩٧٢)، وبينما كنا نتحدث ذات يوم عن أدب المرأة السورية، دفع إلي بالعدد الجديد من مجلة «العربي» الكويتية، لأقرأ ما كتبه عن أديبتين سوريتين هما: مريانا مراش وماري عجمي، وأكد لي في حديثه أن الثانية توفيت من زمان، فاستغربت الأمر وقلت له: اعتقد جازماً بأنها ما تزال على قيد الحياة، فأجاب: إذا كان ما تقوله صحيحاً فأنت مكلف منذ الآن بالاتصال بها وتقديم محاضرة عنها في حلب. وكان الكيالي يومئذ مديراً لمركزها الثقافي، ولما عدت إلى دمشق في أول عطلة مدرسية، سعيت للاتصال بالأسرة لأجمع المعلومات اللازمة وأطلع على مجلتها «العروس» وأهيّئ من خلالها محاضرتي، ولحسن الحظ وفقت في مهمتي... فقد فُتح لي الباب المقفل هذه المرة، واستقبلتني أختها «إيلين» لما عرفت اسمي وقصدي من الزيارة، وبعد أن استأنست بي قدمت لي أحد عشر مجلداً من مجلة «العروس» التي كانت تصدرها أختها، ونسخة من رواية «المجدلية الحسناء» التي ترجمتها عن الإنكليزية وأهدتها إلى مشتركي مجلتها، واستطعت بهذه المناسبة أن أحصل على عدد من الصور التذكارية المعلقة على جدران منزلها، وأصور في الوقت نفسه هذا المنزل الأثري العريق الذي كنت أتمنى أن يصبح في يوم من الأيام متحفاً يضم تراث ماري

عجمي وأشياءها، وهو دار دمشقية واسعة، في صحنها بركة ماء، وأشجار نارنج وكبّاد، وأزاهير شتى، ومرايا و...

لقد ألقيت عدة محاضرات عن ماري عجمي وكتبت عنها مقالات كثيرة في مجلات: الأديب والمعارف ودنيا المرأة في بيروت ومجلتي المعلم العربي، والفتوة، وجريدة الثورة، وكان آخر ما كتبت عنها في عدد تموز ١٩٧٤ من مجلة المرأة العربية وقصرت المقال على مجلتها «العروس» فقط.

أما اليوم فإنني أعود للكتابة عن المجلة وصاحبتها بشيء من الإسهاب، لأغني الجوانب التي أوجزتها هناك، ولأضيف أشياء أخرى كنت أغفلتها، أو اكتفيت بالإشارة إليها، مبيناً من خلال ذلك الدور الوطني المهم والفعال الذي لعبته إبان الاستعمارين التركي والفرنسي، فكانت بحق مثال المرأة الطليعية المناضلة.

كانت توقع مقالاتها الخطيرة باسم «ليلى»، وتحت عنوان «حديث ذو شجون» وفي ذلك يقول الشاعر نبيه عبده:

لَرشفُ السحر من ثغرِ العروسِ

أحبُّ إليّ من رشفِ الكؤوسِ

بها دررُ المعاني قد تجلت

شموساً دونها حسنُ الشموسِ

فأبدت من سنا (ليلى) جمالاً

يقدمه البخيلُ على الفلوسِ

وبالإضافة إلى باب «حديث ذو شجون»، الذي كانت تكتبه من حين لآخر، تتحدث فيه شهرياً عن انطباعاتها، وتضمنه أبرز آرائها وأفكارها ومطالعاتها في المجلات الأجنبية... هنالك أبواب أخرى هي: باب المباحث النفسية، وكان لها ولع فيه، وباب الفنون الجميلة، وباب الرواية، وباب تدبير المنزل، وباب الاجتماع، ثم زاوية للأخبار الأدبية والأخبار الخاصة المتفرقة، وكانت تزين الصفحة الأولى من كل عدد بصور المشاهير العرب والأجانب، كهلن كيلر، والكونتيسّة دي نواي، وميخائيل نعيمة، وأحمد شاكر الكرمي، والدكتورة أُنس بركات باز، وجون رسكن، وعارف النكدي، وصفية حرم سعد زغلول، والشاعرة اليونانية سافو وسواهم...

كان من كتاب المجلة آنذاك عدد كبير من رجال الفكر والأدب في الوطن العربي والمهاجر، معظمهم من الرجال لأن عدد النساء الكاتبات كان في تلك الأيام يعد على الأصابع، فمن النساء العربيات: روز شحفة، والدكتورة أنس بركات. زوجة نصير المرأة جرجي نقولا باز الذي كتب سير العشرات من النساء اللامعات، وألّف كتابه المشهور «إكليل غار لرأس المرأة»، وزينب فواز، وأديل عجمي، وسلمى كساب، وسلمى جنبلاط وفاطمة اليشرطية، ونازك العابد، وسوزي كحيل... وكانت تترجم لعدد من الكاتبات الأميركيات والإنكليزيات مثل دوروثي دوكس، وليزا الكوت، وألن روبنصون، وهربيت ستانسون... أما الكتّاب والشعراء فنذكر منهم على سبيل المثال أولئك المداومين على الكتابة في العروس مثل أديب فرحات،

وأحمد شاكر الكرمي، وسليم حمدان، وعبد المجيد رمضان، وجورج قصاص، وإيليا أبو ماضي، ومحبوب الشرتوني، والرصافي، والزهاوي، وعبد الله النجار، والدكتور خالد الخطيب، وقسطنطين تيودوري، وجورج ميداني، وميخائيل الله ويردي، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري(الأخطل الصغير).

ماري والاستعمار:

لقد ارتبط كفاح الآنسة ماري عجمي، بالدرجة الأولى، بشهداء السادس من أيار ١٩١٦، فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها وأحوال من فيها من السجناء السياسيين، ورأت بأمّ عينها الأوضاع السيئة التي كانوا يعانون منها، وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال، ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد، غير خائفة من عقابه، ولا متهيبة مشانقه وجواسيسه، فقد كان الشهداء أولئك الذين قتلوا حباً بالاستقلال، بعد أن جعلهم جمال باشا بمنزلة الواشين المجرمين على حد تعبيرها.

تقول: «لقد كنت أسمع أنين أولئك الشهداء، وأبصر مواكبهم المزمعة على الرحيل، وأرى المشانق المنصوبة كأنها مواقف مناطيد المجد المحلقة إلى السماء».

وكان رد فعل العرب على جريمة إعدام شهداء أيار قيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، فانضم إليها العرب، كل العرب ثم دخلت

الجيوش العربية سورية، ظافرة منتصرة، بعد أن هزمت فلول الأتراك، وقام الحكم الوطني إلا أن الفرحة لم تطل كثيراً، إذ أعلنت فرنسا حربها على سورية، المستقلة، واقتحمت حدودها في معركة ميسلون عام ١٩٢٠ وبعد أن تم الاحتلال الذي لم ينقلنا إلا من تحت الدلف – دلف الاستعمار التركي، إلى تحت المزراب – مزراب الاستعمار الفرنسي، على حد تعبيرها، راح الفرنسيون يراودونها، ويحاولون إقناعها بالكف عن مهاجمتهم في مجلة «العروس» وسواها، مقابل مبالغ ضخمة من المال تدفع لها، لكنها رفضت أيما رفض، وزادتها المحاولات عناداً وتصلباً، وحدة في المهاجمة... وعندما أقضت مضاجع الفرنسيين بمقالاتها الثورية اللاهبة ردوا عليها بتعطيل المجلة نهائياً، تقول:

«بعد أيام قليلة انقضت على استيلاء فرنسا على دمشق، جاءني شرطي برقعة يدعوني فيها رئيس الوزراء إلى اجتماع أراد عقده، فخططت عليها كلمة «تبلغت» وأبيت أن ألبي الدعوة. وبعد انعقاد الاجتماع، سألت عن القصد منه، فقيل لي إن مدير إدارة المطبوعات الفرنسية خطب في الحضور، وهم الكتّاب وعلّمهم (كيف يكتبون) ووزع عليهم ورقاً بلا ثمن، ووعدهم بالمساعدة...».

لا أعتقد أن مجلة نسائية عربية تحملت من الأعباء، مثل ما تحملته «العروس» وقليلات هن اللواتي خرجن إلى ميدان العمل السياسي، ومعارك النضال الوطني المشرّف كماري عجمي، فقد حاضرت وخطبت في الجماهير، وتنقلت بين سورية ولبنان

وفلسطين ومصر والعراق، تارة تنشر آراءها الثورية عن طريق إلقاء الدروس في المدارس، وتارة عن طريق الكتابة، توزع مقالاتها على الصحف والمجلات التي كانت تحثها على المزيد، وظلت هكذا حتى شهدت جلاء آخر جندي فرنسي عن أرض الوطن في السابع عشر من نيسان عام ١٩٤٦ ونعمت سورية بالاستقلال والحرية في ظل الحكم الوطني.

نشاطات أخرى:

كانت ماري عجمي قد درست فن التمريض في الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٥ لكنها لم تكمل الدراسة بسبب انحراف صحتها، فاتجهت في البداية إلى التعليم، وعينت معلمة أولى في المدرسة الروسية بدمشق عام ١٩٠٦ ، ثم راحت بعد ذلك التاريخ تراسل كبريات الصحف والمجلات كـ «المقتبس» في دمشق، و«المهذّب» في زحلة، و«الإخاء» في حماة والحسناء ولسان الحال في بيروت مدة سنتين.

ثم انتقلت إلى الإسكندرية عام ١٩٠٩ حيث عيّنت ناظرة لمدرسة الأقباط، فقضت سنة واحدة ثم عادت إلى دمشق لتنشئ مجلة العروس في كانون الأول عام ١٩١٠.

أسست النادي الأدبي النسائي في حي القصاع بدمشق، ثم جمعية نور الفيحاء وناديها، ومدرسة بنات الشهداء بالاشتراك مع نازك العابد عام ١٩٢٠، وانتخبت عضواً في لجنة النقد الأدبي في جمعية الرابطة الأدبية عام ١٩٢١ ، وأسهمت في تحرير مجلة الرابطة المذكورة التي لم تعش أكثر من عام واحد، وكانت المرأة الوحيدة في تلك الرابطة.

عربت عن الإنكليزية – بالإضافة إلى تعريب رواية «المجدلية الحسناء» التي صدرت عام ١٩١٣– رواية «أمجد الغايات» سنة ١٩٢٧ للكاتب باسيل ماسيوز، وقد أهدت الرواية إلى فليكس فارس قائلة: «إلى الكاتب الرقيق الروح والقلم، والقائد الذي بثّ بي روح الشجاعة الأدبية، والأخ الذي رفع ستار الشقاء وأراني سبيل الواجب، ودعاني إلى الجهر بما في جسد الاجتماع البائس من السوس الناخر، أهدي روايتي هذه عربون شكر وولاء».

درّست الأدب العربي في مدرسة الفرنسيسكان (دار السلام) مدة أربع سنوات في مطلع الثلاثينات وسافرت إلى بغداد بقصد التدريس أيضاً عام ١٩٤٠، لكنها لم تمكث هناك أكثر من سنة، عادت بعدها لتتصرف إلى النشاطات الأدبية والاجتماعية فانتخبت عضواً في جمعية حلقة الزهراء لسيدات ورجال الأدب عام ١٩٤٤.

احتفلت بها الأوساط الأدبية فأقيمت لها حفلة يوبيل فضي في بيروت سنة ١٩٢٦ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على

كفاحها وعملها في ميادين الخطابة والكتابة والصحافة... ولقيت مثل ذلك التكريم في حفلتين أقيمتا لها في حيفا ويافا سنة ١٩٢٨، كما كرمها النادي الأرثوذكسي بدمشق عام ١٩٢٩. وفازت بجائزتين من الإذاعة البريطانية عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ إحداهما عن قصيدتها «الفلاح» الذي تقول فيه:

هـو الـزارع الفـلاح لـولا جهـاده

لمـا شِمت بالريحـان حسن المخايل

نبيٌّ فقد أوحى إلى القفر بالشذى

وعلّـق أقـراط الغـصون الحوامـل

توفيت ماري عجمي في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٦٥ عن سبعة وسبعين عاماً، فأقام لها اتحاد الجمعيات النسائية في سورية حفلة تأبين على مدرج جامعة دمشق في ٢٥ نيسان ١٩٦٦ تكلّم فيها كلٌّ من: فؤاد الشايب، رئيف خوري، جان كميد، وداد سكاكيني، الدكتور كاظم الداغستاني، عفيفة صعب، أمين نخلة، والدكتور جدعون محاسب نيابة عن أسرة الفقيدة.

ثم طبعت لها وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦٩ كتاب مختارات من الشعر والنثر تحت عنوان «دوحة الذكرى». وما يزال قسم كبير من مقالاتها ومخطوطاتها غير منشور، وموزع في بطون الصحف والمجلات التي كانت تكتب فيها.

أديبة الشام

بقلم: الأديبة وداد سكاكيني

كان الفرزدق إذا سمع شعراً للخنساء قال: تلك أنثى غلبت الفحول... وفي زماننا هذا لو يُسأل فحول الأدب عن «ماري عجمي» لأعادوا قول الفرزدق في الخنساء.

عرفت أديبة الشام وأنا طالبة أتشوّف إلى مطالع الأدب النسوي المعاصر، فتمثلت من خلال آثارها روحاً جبارة نفذت إلى دقائق الحياة فتحسستها في حقائقها، وتلمستها من مظانها، وخيل إليّ أن وراء آثار الأديبة عبقرية طلعت قبل الأوان، وفي بلد لم يتعهد مغارس الفكر والبيان، وحين جمعني إلى الآنسة ماري عجمي وداد ووفاء وجدت أن الخيال الذي كنت أراها من خلاله غاب عني خجلاً لقصوره في تصويرها، فلقد رأيت منها ما وراء النظر وسمعت ما فوق الكلام.

نجمت أديبة الفيحاء من أسرة عريقة متنورة، وكانت المواهب الرفيعة قسماً موزعاً في هذا البيت الكريم، على أن الآنسة ماري

تنفست الأدب في غرارتها وحداثتها، وتنسمت أرجه المعطار منذ تفتح صباها للخير والطموح، لقد نفث الأدب من سحره في روحها، فهامت به وهام بها وشغفها حباً وحين وقفت بباب العمر الكامل أصابها كل ما يصيب العشاق من ذهول وإطراق وشحوب ووجيب، وسعت إليه بكد إن لم يضارع كد النملة فبشوق يضاهي شوقها إلى ما تسعى.

ولقد عرفت «ماري» الكتاب في سن صغيرة، لا تستهويها غير الدمية والأرجوحة، غير أنها لم تكن كلداتها، فأحبت الكتاب وأكبت عليه تقلب النظر فيه وتناغي حروفه، وما لبثت أن حملت القلم مزهوة بخطها فيه وحظها منه، ولم تكن تدري أنه سيتحول في يدها عصا سحرية تجود بالآيات البينات، وحين اتصلت بالمجتمع وتغلغلت في شؤونه وشجونه جعلت تدمغ بالحجة البالغة ما يفترى على المرأة ظلماً وكيداً، داعية قومها إلى تحريرها وتبصيرها، وإلى رفع مستواها بالتعليم والتقويم، لكي تكمل الرجل ويتعاونا معاً على بناء الأسرة والمجتمع.

ومشت مع الزمن تأخذ بثقافة من العربية عريقة مكينة، وثقافة من الإنكليزية واسعة رزينة، حتى إذا نضج طبعها بالبيان طلعت على منبتها دمشق كزهرة فواحة العبير في عهد لم يكن بالشام امرأة تحسن الإملاء والإنشاء بله حمل القلم، وقد عز على ماري أن ترى

بنات قومها أميات وأنصاف متعلمات، فمارست التدريس والتثقيف تارة في الوطن وتارة متنقلة حيث تدعو الحاجة ويطيب المقام.

ولما احتدمت الحرب العالمية الأولى، ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف «ماري» مكتوفة اليدين، معتزلة وجلة، لاسيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان بل تشفعت بهم، وزارتهم في سجونهم الرهيبة وواست منهم كل مشرد وطريد، حتى وضعت الحرب أوزارها فجعلت الآنسة ماري تحقق بعض أمانيها بالكتابة والخطابة، وإذا بمجلتها «العروس» تتهادى بحلة الفن والأدب، داعية إلى التحرر والخلاص من نير الغاشمين، والمتزعمين، غير عابئة بدس المبطلين، وقد فاتها ما كان يجري يومذاك من فيض الإغراء والعطاء على كثير من الصحافيين والكاتبين الذين سخروا أقلامهم للمضي في ركب الأيام، ولكن قلم «ماري» تأبى وانقبض، فعاشت صاحبته منطوية على نفسها، قانعة بعزتها وكرامتها، وقال ناس فاتها الكثير، وقال الأدباء فيها: نالت الكثير...

وبقيت ماري عجمي الصحافية الحصيفة تزف إلى قرائها وقارئاتها «عروسها» التي بقيت في جلوتها، ولم تتبدل نضارتها، حاملة في كل شهر طاقة ندية عطرة من أزهار شعرها ونثرها، ناقلة بقلمها أطيب ثمرات الفكر الغربي، وقد قامت «ماري»

بتكاليف المجلة سنين طوالاً، فأصدرت منها أحد عشر مجلداً، وكانت تحمل وحدها عبء المجلة الذي ينوء بمثله جماعة من الرجال وخاصة في دمشق، وكم نشروا مجلة أو جريدة لم تعش أكثر من عام أو بضعة أعوام.

ويدور الزمان بالناس، فإذا الآنسة ماري عجمي أستاذة الأدب العربي في معهد الفرنسيسكان تعلم الطالبات الشابات أدب العربية على أحكم دراسة وأقوم طريقة، ولو أنك سمعتها تحاضر تلميذاتها عن المعري أو الجاحظ، وضرب بينك وبينها بحجاب لقلت: ثمة أستاذ كبير يحسن الخوض في تاريخ الأدب ويرد صدور البحث إلى أعجازه، ويجيد المقارنة والموازنة بين الشعراء أو بين الخطباء والباحثين وقد يهزك العجب والإعجاب لندرة الأساتيذ الذين أوتوا مواهب الأدباء، وأحاطوا علماً بمذاهب النقد الحديثة ومناهج البحث والتحليل، ولئن زحزح عنك الستار أو الحجاب، ورأيت المحاضر أو المدرس من بنات حواء لشدهت ودهشت، وظننت في التناسخ الظنون، ولا بدع إن أخذك العجب فإن تدريس الأدب العربي ما يزال في شرقنا العزيز وقفاً على الرجال، وقليلات هن اللواتي اضطلعن بهذه المهمة الكبرى، فتعمقن بالعربية وألممن بلغة غربية كما أوتين المزايا والمواهب المنشودة في معلم الأدب.

وأتيح للآنسة ماري أن تتذوق حلاوة الأدب السكسوني بلغة شكسبير، فاطلعت على كثير من ألوانه وأفانينه، وكانت تبتسم وتهمهم كلما رأت أشباح الأدباء الإنكليز حوامة على آثار بعض المفكرين والمشهورين من كتاب الشرق الذين يتخذون من تلك الأشباح أرواحاً لأدبهم السليب.

وإن أدبنا النسائي المعاصر ليزهو بشعر «ليلى» وما ليلى هذه إلا ماري عجمي التي أعادت إلى الخواطر ذكرى شاعراتنا العربيات في عصور الجاهلية والإسلام على تفاوت بالفكر والمزاج والاتجاه، وإن شعرها الرقيق ليفيض من حسها الدقيق، يوحيه إليها ملاك لا شيطان، فالشيطان للشعراء من الرجال، وكم ذا يرق شعورها، ويروق تعبيرها وتصويرها، حين تعتصر الآلام قلبها، أو حين يستخفها الطرب ويستهويها الرضى والجمال.

لقد عرفت ماري نفسها، فصانتها عن الهوان، وضنت بها على التكلف والرياء، واتخذت لذاتها وحياتها أسلوباً في الكتابة والحديث شاع في آثارها وكلامها، وهو أسلوب التهكم الذي كانت تصيب بلمحاته الخاطفة ما لا يصيب غيرها بالنقد والتعبير، والحديث المكرور، فإذا استمعت ماري لرأي عاجلته ببديهتها، وطبعته بالنكتة التي هي طوع خاطرها وشعورها.

ولعل أبرز ما عرفت به أديبتنا الجليلة هو صراحتها التي لا تصطنع فيها مداراة ولا مداورة، وقد جافاها من جرائها كثير ممن كانت حفية بهم وفية لهم في الحل والترحال، ولئن تجنى عليها من تجنى فإنها لم تعدم من أهل الأدب والوفاء من يقدرها قدرها ويذكر فضلها.

ماري عجمي

بقلم الأديبة كوليت الخوري

-١-

لا شك في أنها حتى هذه اللحظة لم تأخذ حقها من التاريخ.. ولم تحتل المكانة التي تليق بها في سجل المجد...

ماري عجمي..

واحدة من أهم نساء القرن العشرين السوريات العربيات..

لا لأنها كانت أديبة كبيرة فحسب والجدير بالذكر ان آثارها الأدبية من شعر ونثر وترجمة – وما أكثرها – لم تجمع حتى اليوم في كتاب.. فيما عدا الكتاب الذي طبعته تكريماً لها الرابطة الثقافية النسائية في دمشق وكان ذلك في أواسط الأربعينات أي إبان حياتها.

ولا لأنها مثقفة كبيرة وأستاذة في الأدب العربي متميزة.. ومتحدثة بارعة وتتقن من اللغات عدة...

ولا لأنها استطاعت بمفردها أن تصدر في دمشق سنة ١٩١٠ مجلة مهمة سمتها «العروس» واشتهرت هذه المجلة وانتشرت في زمن كان الرجال فيه يعجزون عن إصدار مجلة جيدة.

ولا بد لي من أن أذكر هنا أنها تحملت بمفردها وبنفسها أعباء هذه المجلة التحريرية والمادية.. وأن هذه «العروس» بقيت تصدر من سنة ١٩١٠ حتى سنة ١٩٢٦ مع انقطاع دام من سنة ١٩١٤ حتى سنة ١٩١٨ بسبب الأحداث السياسية...

ماري عجمي امرأة عظيمة لأنها إلى جانب كل هذه المزايا وفوق كل هذه الصفات كانت مناضلة حقيقية ومكافحة تحمل الوطن في كيانها...

«لما احتدمت الحرب العالمية الأولى ودهمت سورية نكبات البغي والاستبداد لم تقف ماري عجمي مكتوفة اليدين معتزلة وجلة.. لا سيما حين وقعت طائفة من أحرار البلاد في قبضة الظلم والطغيان... بل تشفعت لهم.. وزارتهم في سجونهم الرهيبة..»

وجاء في كتاب الزميل عيسى فتوح «أديبات عربيات» الذي قدّمتُ له أنا ويتحدث فيه عن أكثر من ثلاثين أديبة.

«... ارتبط كفاح الآنسة ماري عجمي بالدرجة الأولى بشهداء السادس من أيار فزارت السجون غير مرة، ووصفت أحوالها الرديئة القاسية ورأت بأم عينها الأوضاع السيئة التي كان يعاني منها السجناء... وألوان العذاب والاضطهاد التي تحملوها بصبر الجبال.. ووصفت جمال باشا بأنه شر طاغية ابتليت به البلاد... غير خائفة من عقابه ولا متهيّبة جواسيسه ومشانقه..».

نعم.. كافحت وناضلت وعرّضت نفسها للخطر أيام العثمانيين..

وجاء الانتداب.. وحاول الفرنسيون عبثاً أن يستميلوا إليهم هذه المرأة الوطنية المناضلة صاحبة «العروس» وأن يجعلوها تتعاون معهم لكنهم باؤوا بالخيبة والخذلان.

وكما يتابع الأديب عيسى فتوح عن ماري عجمي:

«... واستمرت تحرر مجلتها بقلمها الجريء حتى سنة ١٩٢٦ حيث توقفت نهائياً بسبب مناهضتها الصارخة للاحتلال الفرنسي...»

وهكذا...

استمر نضال ماري ضد الانتداب مثلما كان ضد العثمانيين.. حتى توّج بالجلاء واحتفلت مع الوطنيين والسوريين باستقلال البلاد.

-٢-

ماري عجمي امرأة عظيمة عاشت لقلمها وللأدب وسخرت قلمها والأدب لخدمة الوطن.. ومن الحرام أن أختصر حياة هذه الإنسانة الكبيرة في صفحة صغيرة...

ومن الحرام أن أحشر سيرة امرأة رائدة رأت النور سنة ١٨٨٨ وانطفأت سنة ١٩٦٥ في أسطر معدودة...

وأن لا أسجل هنا ما قاله عنها كبار رجالات بلادنا مثل فارس الخوري والأخطل الصغير وخليل مردم بك وغيرهم كثيرون ولكن لما كان أحد الأصدقاء أخبرني أنه سيؤلف كتاباً عن ماري عجمي.. فقد أسعدني الخبر، ورأيت أن أقدم هذه الصفحات تحية لأديبة مناضلة عظيمة لم نعطها حقها حتى اليوم...

فكما يقول الصحفي الكبير والأديب عبد الغني العطري في كتابه القيم «حديث العبقريات» الذي يتابع فيه سلسلة الدراسات والتراجم لحياة الأعلام وهي سلسلة كتب مرجعية قيمة ومفيدة وممتعة... في أدبنا الحديث عن تاريخنا الحديث.. يقول فيما يقوله عن ماري عجمي «الأديبة الشاعرة والمناضلة الرائدة».

«نحن لم نقم لها تمثالاً في حيّها.. وهي جديرة بذلك».

«ولم نطلق اسمها على شارع وهي أهل لذلك أيضاً».

«ولم تحمل مدرسة[١] اسمها وهي التي حملت راية نهضة نسائية وعلمية شاملة وكانت أستاذة لأجيال عديدة...».

«ولم نجمع آثارها المشتتة في مجلتها وفي عشرات الصحف والمجلات..».

«ولم نحدّث الجيل الصاعد في الكتب المدرسية بشيء من أخبارها ولم نروِ له صفحة من كفاحها..».

«لقد نسيناها كما نسينا سائر عظمائنا في الجهاد الوطني والفكري والعلمي...».

وهنا فقط أتوقف لأعترض...

ومن قال إننا نسينا؟؟؟.

دمشق في

٢٦ أيلول ٢٠٠٠

---

(١) سميت مدرسة ابتدائية باسمها مؤخراً في ساحة جورج خوري بدمشق، بعد صدور كتاب العطري، كما أصدر الدكتور ميشال جحا كتاباً عنها في منشورات رياض الريس. ع.ف.

ديـوان
ماري عجمي

تحية الربيع

نـضا الـروض عنـه رداء المنـام

وألقــى عليــه وشــاح الزّهــر

ألا فافـــسحوا للربيـــع المقـــام

فقـــد أقبـــل الموكـــب المنتظـــر

* * *

رأيـــت الربيـــع يـــشق الثـــرى

ويحيـي المَـوات ويلقـي الطريـف

تـسير علـى جانبيـه الـدمى

ويهتـــف إلـــف بـــأذن الأليـــف

* * *

علـى الـسهل منـه بـساط نـضير

توشـــى بـــأزهى فنـــون الخيـــال

ترقـــرق فيـــه لجـــين الغـــدير

وشـــدّت إليـــه الطيـــور الرحـــال

* * *

هــو الزهــر إن هجرتـــه الطيــور

وأخنــت عليـــه صــروف الزمــان

معــاد، ومــا كــان يــوم النــشور

سوى الملتقى فـي ربـوع الجنـان

* * *

تعـودين يـا طيـر بعـد الهجـود

وإنّـــا لجوقتنـــا فـــي اشـــتياق

لقــد بــسط الــدوح ظـل الخلـود

فهـــزي بربـــك ذاك الـــرواق

* * *

ونــادي الغـصون علــى شـغلها

تـــشق الطرائـــق نحـــو العـــلا

فـشيء مـن اللحـن فـي أذنهـا

يثيـــر بهـــا خفقـــات اللـــوا

* * *

إلـى الـروض نزهـو بأعلامـه

تــرفُّ بخــضر المنـــى والنـــوال

فكـــم مـــن خيـــال بأحلامـــه

تحقـــق مـــستهزئاً بالمحـــال

* * *

هـو الزهـر جـود، فتطفـو الـسلال
ويمتلــيء الجــو مــن نفحتــه
وهـــذا يـــرجّح ذات الظـــلال
وذاك يمـــوج علـــى ضـــفته

* * *

لقد حشد الـروض جيش البـديع
وزاد الحمــاس احمــرار الــشقيق
ومــا وطّــأ النــور ذيــل الربيــع
ولكـن حيـاة سـرت فـي العـروق

* * *

عقـدت لزهـر الريــاض الإخــاء
وعـــشت أشـــيد بإحـــسانه
فأهـــدي إليـــه عقـــود الـــولاء
ويمنحنـــــي فـــــوح أردانـــــه

* * *

عزائـــي إذا ســـاورتني الهمـــوم
يرفّـــه عـــن كبـــد نازيـــهْ
ففـي ظلمتـي مـن سـناه النجـوم
تــشع علــى طرقــي الخافيــهْ

حملـت إلـى النهـر قلبـاً كئيـب
أغـــسّل أشـــجانه الماضـــيهْ
فلملــم كــل شــجون القلــوب
وأبـــــــدعها وردة داميــــــهْ

* * *

ومــا الزهــر إلا بيــان جميــل
يعبّــر عــن خلجــات الثــرى
تــراه إلــى جانبينــا يميــل
ويهمــس شــيئاً بــسمع الــورى

* * *

إلـى الـوعر بـين الـذرى والـتلاع
إلـى الفـيء فـي ذلـك المنحنـى
وكـل طـروب بمـا قـد أشـاع
رســول الخمائــل فــي أفقنــا

* * *

نغنـــي ســـجالاً غنـــاء الحيـــاهْ
نـــردد فيـــه القـــرار الـــرخيم
هـو العـيش قـد أسلـسته يـداه
فنهـــر جـــواد وروض بـــسيم

يقظة الربيع

خـــلّ اللـــــواعج والفكـــــر　　　فلقـــد أضـــرّ بـــك الـــسهرْ
وامـــــرح بجنـــــات الـــــشآ　　　م مـــــع العبيـــــر المنتـــــشرْ
حيـــــث الربيـــــع مخـــــيمٌ　　　والمـــــوج يعبـــــث بالـــــدررْ
ســـــال اللجـــــين بمائـــــه　　　يجلـــــي الخميلـــــة والزهـــــرْ
فـــــوَمَن أحـــــب، لَنـــــوره　　　مـــا بـــين مخـــضرّ الـــشجرْ
أشـــــهى إلـــــيّ مـــــن الـــــلآ　　　لــيء والجــواهر فــي النّحــرْ

*　*　*

يـــا بـــدر حيّتـــك الريـــا　　　ض وبهجــة الــورد الأغــرْ
أنـــا قـــد نـــذرت صـــبابتي　　　وقفـــاً علـــى مـــا قـــد نـــضرْ
غـــرس الجمـــال غرامـــه　　　فنمـــا بقلبـــي وازدهـــرْ
أنـا أعـشق الأزهـار مـا احـ　　　ـتجب الربيـــع ومـــا ســـفرْ
أهـــوى الخـــزام ومـــا روت　　　عنـــه نـــسيمات الـــسحرْ
وأحـــب ثرثـــرة الـــشوا　　　دي فـــي ظليـــل المنحـــدرْ

مـــن لا تـــشوّقه المنـــى ويـــذوب مـــن وجـــد وحـــرْ
جهـــل الحيـــاة وفتنـــة الـــ ـــسحر الحـــلال ومـــا غمـــرْ
وغـــدا كغـــصن قـــد ذوى لا زهـــر يرجـــى أو ثمـــرْ
فتحـــت عيونـــك يـــا ريـــا ض فهـــل غـــرام أم حـــذرْ
أم تـــرقبين الـــريح تهمـــ ـــس مـــا العبيـــر بـــه أســـرْ
أم طيـــف محبـــوب يـــز ف لـــك القلائـــد والـــدررْ

* * *

جواب الروض

يـــا جـــارتي لـــو تعذريـــ ـــن جلـــوت مكنـــون الخبـــرْ
طيــــفٌ ألــــمّ بليلــــة حلـــو التغـــزل والـــسمرْ
فـــي عينـــه بـــرق المنـــى فـــي كفـــه جـــود المطـــرْ
لمـــس الثـــرى فـــإذا بـــه ورد بلمـــــستـه انتثـــــرْ
أنفاســـــه ريـــــح الـــــصبا ألفاظـــــه نغـــــم الـــــوترْ
هـــاج الحنـــين جناحــــه فمـــن الخلاعـــة للخفـــرْ
ثمـــل معتقـــه النـــدى طلـــق تبـــسم أو زفـــرْ
ســـكرت بنـــشوته النفـــو س ويـــا لخمـــر قـــد عـــصرْ
أبـــداً بـــشغلٍ شـــاغلٍ فـــي كـــل فـــنٍ مبتكـــرْ
مـــا مـــن جمـــالٍ شـــمته إلا بـــه منـــه أثـــرْ
فـــإذا ذكـــرت رواءه والـــروح تبعثهـــا الـــذكرْ
أضـــفى علـــيّ غلالـــة خـــضراء وشـــاها القمـــرْ

* * *

يـــــاقوم أيــــن ربــــيعكم		أيــــن الروائـــع والغـــررْ؟
أيــن الــصفاء وأيــن مجــد		كـــم القـــديم ومـــا بهـــرْ؟
لبـــست رياضـــكم الحـــدا		د أســـى علـــى حـــظٍ عثـــرْ
لِــمْ لا تعــود مــع الربيــع		حيـــاة شـــعب محتـــضرْ
يخــــضر فيـــه رجـــاؤه		بمــــضاء فتيـــان ســـمرْ

* * *

يــا مــن تهلــل للربيــ		ــع ومــن بروضــته خطــرْ
أيــن الربيــع مــن القلــو		ب خفقــن فــي يــوم الظفــرْ؟

* * *

الجندي في ساحة القتال

كــان كالبلبــل فــي أيكتــه		يتغنــى بــالقوافي العــامرهْ
فرمــى الكــأس وألقــى نايــه		ومــضى للحــرب نفــساً ثــائرهْ

* * *

مـشت البيـد أم الركـب جـرى		أم جبــال وحــصون ســائرهْ
أطبــق الجــو عليــه والثــرى		ببــراكين الــضرام الفــائرهْ
وهـو منهـا فـي غـلاف محكـم		ينفــث الأهــوال حمــراً زائــرهْ
بـاع يـوم النـصر طوعـاً روحـه		فهـي ومضٌ بالنـصال القـاهرهْ
أصـبحت شُـمّ الروابـي وهـداً		وغــدا الغــور تــلالاً زاخــرهْ
أيّهـا الفتيـان أيـن الملتقـى		أجنــان الخلــد أم بالحاضــرهْ؟

* * *

قــدرٌ يلهــو وعمــرٌ ينقــضي		وغــصونٌ تتهــاوى خــائرهْ
والفتــى جــزر ومــدٌ بينهــا		عنــد أكــوام الحطــام الزافــرهْ
ونــشيد المـوت فـي مـسمعه		وخيــالات الأمــاني ســافرهْ
ويكفيــه مفــاتيح الــردى		وبعينيــه اتقــاد الهــاجرهْ
وحــزام كــشرت أســنانه		يتلــوى شــبه أفعــى دائــرهْ

هـــي نـــار كلمـــا أشـــعلها		أطفـأت نـار الخـدود الناضـرهْ
وإذا مـرّ بــه المـوت ارتمــى		راكـداً تحـت الـشظايا المـاطرهْ
أو تـوارى عنـد سفح المنحنـى		أو هوى بين الـشقوق الغـائرهْ

*   *   *

وتنـاهى النـسر فــي تحليقــه		فاتحــاً للعــين بــاب الآخــرهْ
أجحــيمٌ فـــي جنـــاحٍ خـــافقٍ		يتقـــي حـــرّ المنايـــا الطـــائرهْ
قـد كـسا الكـون حـداداً بعـدما		وهـــب الليـــل نجومـــاً زاهـــرهْ
ودّ لــــو ينتــــزع البــــدر بمــــا		راعـــه مـــن صـــاعقات غـــادرهْ
كـي يـدكّ الأرض بالخـصم فـلا		تتـــصبّاه العـــوادي الجـــائرهْ
أينمـــا شـــاء تـــدلى آمنـــاً		جاذبـاً حبـل الحيـاة البـاهرهْ
ظلـــة رفرافـــة تهـــوي بـــه		رفـــة الـــزورق فـــوق الهـــادرهْ

*   *   *

هــل لهـــا إلا غيـــور حـــازم		لا يهـاب المـوت، نـار صـاهرهْ
تعصف النخـوة فـي أضـلاعه		عصفة الـريح بـروض عـاطرهْ
مـؤمن بـالحق، صـلبٌ، خـشنٌ		غيـر عـاصٍ شـرعة أو آمـرهْ
دائـب لا ينثنـي عـن واجـب		نـاهض بالعبء، غوث القاطرهْ

*   *   *

صـفحة المجـد أمـا مـن قـارئ		يلمـس الدمعـة تجـري حـائرهْ
كـم صـريعٍ نـسج الفخـر لـه		كفنـاً فـاق البـرود الفـاخرهْ

*   *   *

الصباح

هلـل الـروض للـصباح وكبّـر   يـا لــه شـاعراً تغنــى فأسـكر
هبّ والزهر فـي الغلالـة يشدو   ما أحيلى الصباح!.. الله أكبر

* * *

شــــهد الفجـــر أروع الآيـــات   إن حبّ النهوض سرّ الحيـاة
فاتر العزم قم من النوم وانظر   إنمـا الفجر معرض المعجزات

* * *

مــن زهــورٍ تفتحــت أقمـــارا   ونجـــومٍ تودعـــت أســـحارا
ودمـوعٍ أسـالها البـين إن الــ   ـبين صـعبٌ ولـو عهوداً قـصارا

* * *

مـا تـرى الأزرق الخضم يلـين   يعتريـه عنـد الـشروق سكون
صاحِ، طالت يد الزمـان علينـا   فمتـى يـا صبح الأمـاني تبـين

* * *

ما لخضر الظلال في النهر نشوى   تتهـادى مـا بـين بـثٍ وشـكوى

هل غدا الماء في الجداول راحاً   أم أمال النسيم عطفك نجوى

* * *

إخلـع النعـل فالمكـان محـرّم   ما المصلى منـه بأنقى وأرحم
فهنـا الطـلّ واللجـين وضـوءٌ   وهنـاك الصفصاف صلّى وسلم

* * *

وزكـاة الريـاض ظـلٌ وخمـرُ   وحفيـف الأوراق آيٌ وذكـر
وثغاء القطعان في الحقل شكر   وأريـج الريحـان طـيٌّ ونـشر

* * *

وهتـاف الورقـاء أزكـى تحيّـهْ   تغمـر الأفـق بكـرةً وعـشيهْ
إيـه ورقـاء هل تـساوى هديلٌ   كـان شـجواً أو نـشوة سـحريهْ

* * *

هل صدود الحبيب يعني اتصالاً   بحبيـب سواه مـا القلـب مـالا
وإذا لـم يكـن مـن البـين بـدٌ   فعـلام الـسهاد يمـسي اكتحـالا

* * *

وكـذا العمـر يقظـة ورقـاد   ورجـاء وخيبـة وجهـاد
غيـر أن الأنـوار أقـوى نفـوذاً   مـن ظـلام يحوكـه الأضـداد

* * *

يـا حبيبـاً سبى العقـول هـداه		وجـزيلاً فـي العـالمين نـداه
كلمـا ردد اسـمك العـذب ذكـر		رجّع القلب فـي الخفـاء صداه

* * *

أنـت تجلـو عن العيـون الظلامـا		أنـت تـذكي نفوسـنا إلهامـا
أنـت أوحيـت بالعبـادة شـعراً		وأقمـت الهـزار فينـا إمامـا

* * *

أنت أودعت فـي البـرود لهيبا		وبعثـت الجمـاد زهـراً وطيبـا
من لتلك الأسرار غيـر صبـاح		كنـت منـا يـا رب فيـه قريبـا !!

* * *

إلى البنفسجة

بنــات النــدى والنــار هللــن للــضحى
وداعــاً فقــد أضــحى التــداني تنائيــا
مضى الصيف باللألاء، بالظل، بالهوى
بمــن أرســل الــسحر الحــلال أغانيــا
مـضى بمغـاني الـصفو والأنـس عابثـاً
وخلّفهــا تنعــى علــى الوقــت بانيــا
فرعـــد وبـــرق وارتعـــاش وزفـــرة
وويــل وليــل فــي التجنــي تماديــا
فمــا فــي المنــاحي غيــر أغبــر قــاتم
وأشـــلاء أغــصان هــصرن زواهيــا
وباســـق أدواحٍ تعـــرّت غـــصونها
رفعـــن أكفـــاً للـــسماء تـــشاكيا
وإلــف حمــام خانــه الــصبر فــانزوى
ينــوح لــو ان النــوح يــسعف باكيــا

وشــمّ جبــالٍ أخفــض الــثلج عزّهــا

وأعلــى مــن الأرجــاء مــا كــان واديــا

وصــمّ صــخور فتــت البــين قلبهــا

ففجــر ســيلاً فــي المهامــه داويــا

وآثــار كــأس أفــرغ الــدهر دنّهــا

وأطــلال روضٍ كــنّ أمــس نواديــا

خلـون عـدا مـن زهـرة تبعـث الـشذا

فتبعــث فــي قلــب الــشجي أمانيــا

بنفــسجة لــولا اخــضرار وشــاحها

لمـا شـمت فـي الفيحـاء أخـضر زاهيـا

تجيــل عيونــاً قــد تكحلــن بالــدجى

يطــوف بهــنّ الــدمع رائــح غاديــا

عــذارى حييّــات تــسربلن بــالنهى

يوصوصـن مـن خلـف الـستور تفاديـا

عــوانس لا يــصبو إلــيهن مغــرم

يــواقظ غــالبن الأســى والعواديــا

* * *

بنفـسجتي صـبراً علــى الجـور والقلــى

فــإن جميــل الـــذكر مــا كــان باقيــا

فخـــــار ريـــــاحين الريـــــاض دعابـــــة

ومجـــدك أن تـــضحي عـــزاء وآســـيا

فهـــن إذا هبـــت علـــيهن صرصـــرٌ

سـللن سـيوف الهجـر بيـضاً مواضـيا

وأنـــت إذا جـــارت عليـــك يـــد النـــوى

أعـــدت أديـــم الجـــو أزرق صـــافيا

* * *

شوقي !...

هـزوا الغـصون لعلــه نــائمْ　　　سكران في عش الهوى حالمْ
فالخلــد فــوق رياضـــه حــائمْ
الـروض خلـوٌ والفـضا قفـر　　　لا شـدو شـادٍ هاجـه العطـر
الـريش فـي أعـشاشه نثـر　　　والعـــين لا نـــور ولا جمـــر
ورقــاء نوحــاً فالأسـى غمـر　　　مـات الهـوى والحـب والـشعر
كانـت أغـانٍ، وقعهـا الـسحر　　　حسب الأغـاني تنـدب النـاظم
قم وارثِ نفسك لن ترى شاعر　　　يرثيـك عفـو القلـب والخـاطر
وضـــح النهـــار بيانـــك الـــساحر
مـن ذا ينـاجي بعـدك النجمـا　　　ويـذيع طيـب الزهـر مـا نمـا
كنت الرسول الكاشف الظلما　　　بـين الخوافـق مـا شكت همـا
نفحاتـــه إن زدتهـــا شـــما　　　خلــت الروائــع بعـدها إثمــا
لا تعذليـــه إنـــه ســـلمى　　　ثمـــلٌ بنـــشوة حبـــه هـــائم
ورق الغصون النـضر أوراقـه　　　ومطـــالع الأنـــوار آفاقـــه
فلـــئن صـــبا هاجتـــك أشـــواقه

غررٌ زهت والشعر يا صاح نــــــار بأحـــــشاء وأرواح
وكأنهــا نــشوى مــن الــراح تختــال فـــي حـــزنٍ وأفــراح
فتــراود الــسكران والــصاحي وتـؤجج الأشـواق فـي اللاحـي
أومـــيض بـــرقٍ بـــين أدواحِ أم شعر شوقي في الدجى الفاحم

* * *

مـن للحـزين إذا نـأى الركـب أو للطـروب إذا صـبا القلـب
أو للقـــوافي شـــفّها العتـــب

مـا فـي الربـا غـصنٌ ولا ظـل إلا انحنـــى والـــدمع منهـــل
هل في الرياض لشاعر أهل غمر الرياض الحزن والمحل
هـــذا صـــدى ألحانـــه يتلـــو إن الخفـــوق لقلبـــه شـــغل
يـا ذا الجنـاح أشـاقك الرمـل أم قـد تجهـم جـوك الباسـم
صــبٌّ تحطــم كأســه البــاقي فمـــضى بـــلا راحٍ ولا ســـاق
متـــــزوداً عبـــــرات مــــشتاق

هو في الكروم يجدد العهدا هو في الخلود يعانق المجدا
هو في الجنان يسامر الوردا هو في النشيد يصوغه عقدا
هامـت عـرائس شـعره وجـدا يبكــين فيـــه الــشاعر الفــردا
وجـرى النـسيم بـذكره نـدا إن النـــسيم بـــذكره غـــانم

غنـــى لنـــا دهــراً فأصـــبانا   وبكـى على الماضـي فأبكانـا

هــل للهبـا المنثـور مـا كانـا

قـم واسـقنا مـن خمـرة الحـب   واعـزف علـى قيثـارة الـصب

هـذي بقاياهـا علـى التـرب   طرحــت بـــلا روح ولا قلـــب

والهفة الفصحى على القطب   وعلـى هـدير الجـدول العـذب

أمعلـــل الأحبــاب بـــالقرب   إن الحبيـب مـن النـوى واجـم

شـعر الأميـر أجـارك الـصبر   لا أنـــت مؤنـــسنا ولا الـــذكر

لأرى الأســى أضـناك يـا شــعر

أرض الكنانـــة مـــن يعزيهـــا   مـن بعد مـا أصـفت نواديهـا

فلقـد مـررت علـى مغانيهـا   فرأيــت دمعـــاً فـــي مآقيهـــا

كـان النخيـل يُظـلّ شـاديها   واليـــوم جـــرداء روابيهـــا

سـكن الحنـين بـسفح واديهـا   فعلـى الحنـين تحيـة الـراحم

* * *

لبنان الحنون

حيــا الحيــا لبنـــان روض البهـــا

وصــافحته الـشمس عنـد الـصباح

طــود أثيــل النبــت عــالي الــذرى

لـم يثنـه فـي الـشيب هـول الكفـاح

فلـــيس فـــي لبنـــان إلا الـــصِّبا

ولـــيس فـــي لبنـــان إلا المـــلاح

يـــا أهـــل لبنـــان كفـــى منّـــة

مـا فـي شـذا أدواحـه مـن سـماح

وان يـــبض الـــصخر قطـــر النـــدى

وان تؤاســـي الـــصب ذات الجنـــاح

* * *

يــا ليتنـــي الأرزة فــوق الربـــى الــ

ــشماء، لا تـصفر وقـت الخريـف

منــــــازل للطيــــــر أغـــــصانها

خــضراء تـــزري بـــالبلاط المنيـــف

ان مـــرّ فيهـــا الظـــاعنون الـــضحى

جـــادت علـــيهم بالظليـــل الوريـــف

لا ينـــــشر الأفيـــــاء إلا العلـــــى

ولا يهـــز العطـــف إلا الـــشريف

لـــو لـــم يكـــن فـــي الكـــون ظـــل لكـــا

ن الغـــاب قفـــراً والهجيـــر مخيـــف

* * *

يـــا ليتنـــي ورقـــاء وادي الحمـــى

لا تهجـــر المخـــزون حتـــى يطيـــب

مـــا تملـــك الأطيـــار الا الغنـــا

تبدي بـه فـي الشجو عطفاً عجيب

ورقـــاء غنـــي لا جفـــاك الكـــرى

ولا أذاب الـــــسقم روح الحبيـــــب

هــذا ارتــدى بالحــسن بعــد الــونى

وذا طـــروب كـــان قـــبلا كئيـــب

لـو لـم يكـن فـي الكـون لحـن لكـا

ن الجـــو قفـــراً والأغـــاني نحيـــب

*   *   *

يـــا ليتنـــي الزهـــرة رمـــز الـــولا

نجـوى الأمـاني فـي ثغـور عـذاب

أمـــا تـــرى الروضـــة مرويـــة

تجـــود بـــالآلاء جـــود الـــسحاب

هــذا عبيــر الــروض مــلء الفــضا

ومــا يــزال الطيــب مــلء الإهــاب

يــا زهــر رفّــه عــن صــدور الــورى

يـا زهـر فـي عطفيـك لـين الجـواب

لـو لـم يكـن فـي الكـون زهـر لكـا

ن الــروض قفــراً والخزامــى تــراب

*   *   *

يــا ليتنـــي لألاء نهــر «الــصفا»[1]

أنـــى جـــرى مجـــراه يـــشفي الأوام

عـذب خفيـف الجـري غمـر النـدى

والمـــورد العـــذب شـــفاء الـــسقام

يـا نهـر بـارِ الـريح جـوداً علـى الــ

ـــــقفار، لا تَـــسْتَنْدِ إلا الغمـــــام

مــن لــم يهــب ممــا حبــاه العلــي

فقــل علــى الرحمــة فيــه الــسلام

لــو لــم يكــن فــي الكــون ري لكــا

ن المـــرج قفـــراً والجـــواري ضـــرام

* * *

يـاليتني فـي الفـضل شـمس الـضحى

حـــرب علـــى الظلمـــاء لا تـــستنيم

---

(١) الصفا : نبع في لبنان قرب عين زحلتا، يتكون منه نهر الدامور، وقد جرّ الأمير بشير الشهابي الثاني مياهه إلى بيت الدين وجوارها.

كأنهـــــا والكـــــون إذ تنجلــــــي

أمّ تهـــاوت فـــوق مهـــد الفطـــيم

تجفــــف الدمعــــة فــــي خـــــده

ومـــلء عينيهـــا الغـــرام القـــديم

فخــــذ مـــن الآلاء حـــظ الجنـــا

ن النـضر واعطـف عطفهـن العمـيم

أكـرم بأهـل الفـضل فـي ذا الحمـى

لا يتركـــون الفـــضل قفـــراً يتـــيم

* * *

فدعوني على الخميلة أعدو

طلـــع الزهـــر فـــي نـــديّ جنانــــه

وانتـــشى القلـــب مـــن رحيـــق دنانـــهْ

مرحبـــاً بـــالربيع، إن هـــو غنـــى

أو بكـــى عاشـــقيه فـــي نيـــسانهْ

لـــم يغـــب وجهـــه الجميـــل ولكـــن

كـــان فـــي القلـــب مـــاثلاً لعيانـــهْ

أقبـــل الـــسوسن الملـــثم يُبـــدي

لاعـــج الـــشوق فـــي نـــدى أجفانـــهْ

مـــزق الوجـــد عـــن ســـناه نقابـــاً

فبـــدا فـــي ارتعاشـــه وافتنانـــهْ

فهـــو بـــين الغـــصون جمـــر تلظّـــى

وهـــو مثـــل الفـــؤاد فـــي خفقانـــهْ

عــزّ بعــد الهــوان والــذل، مرحــى

لتهاديـــه فـــي الربـــى وهوانـــهْ

والمــروج الخــضراء ماجــت خمــاراً

واحتفـــاء تلـــج فـــي تبيانـــهْ

كلمـــا هـــب مـــن شـــذاه نـــسيم

هاجهـــا شـــوقها إلـــى أغـــصانهْ

وشـــقيق النعمـــان لا يتـــوانى

عــن شــكاة مــن فــاتني نعمانــهْ

والهــزار الغريــد يمــرح فــي الأفــ

ــق طروبــاً يفــتنّ فــي ألحانــهْ

* * *

فــدعوني علــى الخميلــة أعــدو

مثــل عــدو الوليــد مــع حُملانــهْ

* * *

نجِـــم

أقـول لـنجم فــي الـسماء يلـوح لــي

أأنـت حـديثُ العهـد أم كنـتَ سـابقا؟

ألا إننـــي روحٌ تجليــت فـــي العـــلا

وقـد كنـت فـي الـدنيا محبـاً مفارقـا!

*   *   *

الياســـمين

ألياســـمين وقـــد تفتـــ   ـــح فـــي فـــؤادك مثلـــه
لا يحتـــــوي طيبـــــاً إذا   لـــــم يـــــشتملنا ظلـــــه
الطيــــب منــــك رســـالة   والياســـــمين أهلــــــه
فكأنـــك الـــروض ضُـــحى   وكـــأن ذكـــركَ نحلــــه
يهفـــو فيرتـــشف الحـــلا   وة والـــــصبابة شـــــغله

*   *   *

أنـت أُنـسي إذا شعرت بروحي   نسمة العطف في الأضالع تسري
أفـسد الأدنيـاء صـفوة كأسـي   وتبـسمت فـانجلى ليـل عـسري

*   *   *

مُلئـــت وحـــشتي أُنـــساً   وانجلـــى الهـــم الدفيـــن
وهفـــت بـــيض الأمـــاني   فـــشفت وجـــد الحـــزين
كـــدت مـــن يأســـي أشـــ   ـــك الأمـس فـي نـور اليقـين
يـــا أناشـــيد الهـــوى عـــو   دي إلـــى الـــصب المهـــين

أشـــرق العـــدل ولاح الحـــ ـــق فـــي الـــصبح المبـــين

يـــا وقـــى الله الأميـــر الـــشـ ـــهم مـــن مكـــر اللعـــين

صُـــعق الأنـــذال يـــوم الجـــ ـــهر بالـــصدق المكـــين

حـــسبهم مـــا نلـــت مـــنهم مـــن حـــزازات بلـــين

هـــم كالـــسوس أضـــروا بعمـــاد الراشـــدين

هاتهـــا صـــفوة خمـــر فـــي كـــؤوس المنـــشدين

يـــا رعـــى الـــرحمن عهـــداً هـــو عهـــد الـــصالحين

لـــك بغـــداد علينـــا ذمـــة الفـــضل المعـــين

* * *

الشـــاعـرة

دفعـتُ بـشعري بـاب الخلـود ... وحطمـــت مزلاجـــه ســـاهيهْ
فـألفيتني بـين حـور الجنـان ... يقـــبلن جبهتـــي العاليـــهْ
أنـا الـشعر تـشدو بـه لهفـة ... فتطـرب فـي الظلمـة الداجيـهْ
أغنـي لتصغي وحوش الفـلاة ... وتـــأنس بالرقـــة الطاميـــهْ
ومـاذا علـى الـشعر لـو أنني ... صـبوت إلـى الرحمـة الفاغيـهْ
أصـــور رســـماً لـــه روحهـــا ... جناحـاه مـن رحمـة ضـافيهْ
فـإني مـن الطيـر قـد حلقـتْ ... لتحيـــا مـــسـهّدة هاذيـــهْ
تـسابق لحـن الـصبا والفـضا ... ملـــيء مـن الفرحـة الزاكيـهْ
هـو الـشعر روح الحيـاة وهـل ... تـروق بغيـر الهـوى قافيـهْ
يتعتعنـي الـوحي مـا أشـبهت ... كواكبـــه النجمـــة الهـــاويهْ
فأشـــربها والهـــوى قبلتـــي ... يـــصب بأقداحـــه ثانيـــهْ
فـإن كـان ذنبـي هـذا الغنـاء ... أُناشـد فيـه المنـى الباقيـهْ
فحـسبي مـن الفـن ألا أكـون ... سوى النـار والنسمة الجانيـهْ

* * *

بلا عنوان

أنــا طــائر لــلأرض أنــزل أبتغــي

قوتــاً يــساعدني علــى الطيــران

إن دوحــة نزلــت بأعمــاق الثــرى

فلكــي تنــال تعــاليَ الأغــصان

* * *

الحُــبُّ

يــا واهـــب العـــشاق نـــضرته
كـــالزهر يلهـــب حـــسنه ورقـــه
لا فـــرق إلا الطيـــب بينهمـــا
وبمـــا تفـــرّد جـــلّ مـــن خلقـــه
كـــل يبـــاري فـــي بدائعـــه
محبوبـــه ذاك الـــذي علقـــه
غــاص الــورى فــي موجــة دفعــت
مــن ســحره لمــا اصــطلوا حدقــه
ووقفـــت عنـــد الـــشط أرقبـــه
فـــإذا أنـــا فـــي قاعـــه غرقـــه
لا الــسهد مــن دأبــي ولا شــيمي
لكــن طيفــاً فــي الحــشا طرقــه

مــــا الحـــــب أن ترجـــو مواصـــــلة

أو أن تظــل الـــدهرَ مـــن عـــشقه

الحـــــب معنـــــى لـــــست تدركـــــه

مـــا لـــم تـــرَ الأنـــوار منبثقـــه

* * *

مأتــم الــورد

عـــلام الـــروض يكـــسوه حـــداد
وأجفــان الأقــاحي فـــي اغتمــاض
وأوراق الـــسحاب عليـــه تهمـــي
وعـصف الـريح يزفـر فـي الغيـاض
أهــــذا مـــــأتم للـــــورد أم ذا
دبيـب الـشوق فـي جـسم الريـاض؟

* * *

أحـــلام

رايـــة الحـــب ابتـــسام ودمـــوع　　نُـسجت مـا بـين يـأس وأمـل
خفقت فوق سفين من ضلوع　　تـاه فـي لـج الهـوى منـذ الأزل
ذاهـب فـي الـيم باسـم الله مـا　　يتقـــي فيـــه ســـبيل الجاهـــل
فمـضى، والمـوج يحكـي سـلماً　　يرتقيـــه رغـــم كيـــد العـــاذل

* * *

قف بنا فوق المعاني يا سفين　　والـقِ بالمرسـاة عنـد المـشتري
نغمـر الآفـاق شـوقاً وحنـين　　بـــشعاع الفرقـــد المنتشـــر
ونجيـل الطـرف فـي ثغـر بسيم　　أذهلـــت نجـــواه لـــبّ العابـــد
ماثل في صفحة الوجـه الوسيم　　ســـورة الحـــب بحـــرف واحـــد
جمعـت بـين نـضيد ورخـيم　　يبعـث الـروح بـروض ذابـل

* * *

هل ترى يا صاح مثلي عاشقاً　　ذاهــل اللــب نزوعــاً للخيــال
أو تـرى مثـل فـؤادي خافقـاً　　لعبيـــر أو جنـــاح أو هـــلال
إن في معنى التهادي عجباً　　كل محبوب على الكون أمير

فـإذا هبّـت نـسيمات الـصبا   يتناشـدن علـى سطح الغـدير
تلـت الأرواح مـا قـد كتبـا   فانتـشت بالـشعر لا بالبـابلي

*   *   *

مـا لهـذا البحـر يحكـي مغرمـاً   تـارة يـصفو وطـوراً يكفهـر
تعبـث الأنـواء فيـه مثلمـا   تعبـث الـذكرى بـروع مـستقر
إن قضى الـدهر علينـا بالبعـاد   لـم يجـد قلبـي سوى أن يخفقـا
أو قضى مرّ التنـائي بالـسهاد   حسبي الموج زميلاً في الـشقا
دأب عـال وتفتيـت الجمـاد   وضـلال المـستهام الغافـل

*   *   *

أعـذب النجـوى عتـاب مزجـت   نظـرات اللـين فيـه بالغـضب
أيّ عهـدٍ ليـت شـعري قطعـت   للهـوى روحـي ولـم تـرع الأدب
أيهـا الغائـب دعنـي لـيس فـي   مـا تـراه مـن ذنـوبي مـأثم
مـا تـرى إنـي لـك الخـل الـوفي   لـم يفقتـي فـي هـواه مغـرم
إنمـا ذنبـي بمعنـاه الخفـي   أن أثير الـشوق شـوق الـذاهل

*   *   *

هيكـل الحـب وقـد شـط المـزار   هل لنـا من عودة ترجـى إليـك
كنـت يـا قلـب بهاتيـك الـديار   فغـدت سـاكنة فـي جانبيـك

تلكمـــو أنفاســـنا المـــشتعلهْ لـم تـزل تـذكو بـذياك الفـضاء
تلــك نجوانـــا بـــه مــسترسله لـم تـزل تـسمو بأرجـاء الخبـاء
تلــك آيـــات البيـــان المنزلـــه قـد خلـت مـن كـل لغـو باطـل

* * *

فجـع البـين غرامـي بالـصباح فــانزوى ينــدب آمــالاً عــذاب
سـكبوا فـي كأسـه نهلـة راح ثـم قـالوا حسبه منهـا الحبـاب
صــبحه قــد حــال لـيلاً وغــدا روضـــه الزاهــر قفــراً بلقعــا
كلمـــا حـــن هـــزار أو شـــدا لــم يــذر فــي مقلتيــه أدمعــا
كيـف لا تـشكو العيـون الرمـدا وهـي عن صحتها فـي شـاغل؟

* * *

يـــا رعـــى الله أويقـــات اللقـــاء كـم بـذكراها أضـعنا مـن سـنين
لحظـــات كـــنّ نـــاراً وضـــياء ليتهـــا كانـــت ظلامـــاً لا يبـــين
لــو عرفنــا مــا سـنلقى بعـدها مـــن فـــراق وخفـــوق وعـــذاب
لرغبنـــا عـــن متـــاع عهـــدها وغنينـــا عـــن غـــرام وشـــراب
وقنعنـــا بالأمـــــاني وحــــدها وعبـــاب مـــن لجـــين ســـائل

* * *

ظـــلم

رفعـت لـواء للخفـوق جـوانحي   يربـو علـى الأنـواء فـي عصفاته
قد كـان لـي قلب إذا هـاض الكرى   جفني، نـهاه الكبر عن يقظاته
واليـوم لا وســن يخــدر مقلتــي   أو يـردع المـصدوع عن زفراتـه
مـن يـشتري قلبـاً ويمنحنـي حـشاً   لـم يبلهـا طعن الأسـى بقناتـه
كـي تلتقـي الأجفـان بعد شـتاتها   ويلـين للمغدور عطـف أسـاته
قلـــب إذا ســـدل الظـــلام نقابـــه   جزعت عليـه الطير من رعشاته
خفـقٌ كمـوج البحـر فـي جيشانـه   نبض كسلك البرق فـي نبضاته
صور تمر علـى اختلاف شؤونها   عرضت حياة القلب فـي نزواتـه
أقـصر حـديثك يـا فـؤاد فـإنني   أخشى انفجار النار من كراتـه
مــا كنــت مهــذاراً بعهـد ســالف   أيـن الوقـار وأيـن ظـل هداتـه
مـا أنـت تهوى كـي تساهر كوكباً   تتـراوح الأطيـاف فـي ومـضاته
لو كنت أفقه ما الذي تفضي بـه   لنـشرت بـرد الوشـي مـن نفثاتـه
أفصح فقد فعل الوجيب بمهجتـي   مـا لـيس يفعلـه الهـوى بقواتـه

شوق وهل تشتاق من عصفت بها ريــحُ الإبــاء وطــرزت آياتــه

ماذا يفيد الشوق في عصر غدا عمـر الوفـا وقفـاً علـى قبلاتـه

لو كان يدري الناس حقاً ما الهوى لــسموا بــه ولقدســوا جمراتــه

مـا كـل مـن ذاق الـشفاه بناهلٍ ورداً يـــذكي طهـــره نزعاتـــه

عللــت قلبــي بــاليراع وأنــسه كــي لا تمــازح نقمــة بدواتــه

فـإذا جناحـك يـا فـؤادي مخـضب وإذا الـدماء تـسيل من جنباتـه

* * *

يـا ظلـم جـردت الحمـى أعلامـه ومنعـت جـود الله عـن جناتـه

أســفي علــى قطــر ينفــر آلــه وعنـت فطاحلـه لحكـم بغاتـه

إن أمّــه الغربــاء أمطـرهم نــدى واخـضر عـود النـد فـي فلواتـه

وبنـوه يطـوون المجاهـل والفـضا ونفوسـهم تـصبو إلـى نـسماته

إن رحـت أبكـي إنمـا أبكـي علـى قطـر تمزقـه سـيوف حماتـه

* * *

الفجـــر

يــا وردتـــي مـــن ذا ســقاك النــدى
ويـــث أســرار الهــوى فـــي العيــون

وأيقظـــــت أنفاســـــه ســـــحره
هــذي الأقــاحي الــساحرات الجفــون

مـــن ذا الـــذي وافـــى علـــى غــرة
فهاجـــت الأرواح بعـــد الـــسكون

وأفـــرغ الأطيـــاب فـــي روضـــة
عطفـاً علـى العـود الـشجيّ الحـزين

وأشـــعل الأضـــواء فـــوق الربـــى
وأنعــش الــصادي وفــك الــسجين؟

*   *   *

مــن ألــبس الــوادي وشــاح البهــا

وعلّــم الأطيــار هــذي الفنــون

وفــضض الأمــواج كــي تنجلــي

مرآتهــا عنــد انحنــاء الغــصون

* * *

هــل للنــدى والــسجع أم للــضيا

يــا وردتــي أم للــشذا تبــسمين

إن كنــت نــشوى الطــل لا تبخلــي

أو كنت نشوى السجع لِمْ تضمرين؟!

أنــا حبيبــي الفجــر بــين الــورى

ويــا لنــا للفجــر مــن عاشــقين

أهــوى انبثــاق النــور يــا وردتــي

وأكــره الظلمــاء والظــالمين

* * *

يــا ليــت فجــري بعــد ليلـــي بـــدا

إذن لفقـــت الـــورد والياســـمين

لأطربـــــت أوتـــــار قيثـــــارتي

شـيخاً طـوى عهـد الـصبا والحنـين

وجـــددت عهـــدي دواعـــي المنـــى

وفـــاح عطـــري بـــين حـــين وحـــين

*   *   *

المذيـــاع

إن تـــذيعي نغمـــة الحـــب فـــلا   تكتمـي يـا ريـح عنـي النفحـات
موجـة الـشوق ومـا يطفـو علـى   زرقـة الأفـلاك بـين الومـضات
كلهـــا تحمـــل أنبـــاء الهـــوى   وتـــوافيني بتلـــك الـــذكريات
وعلـى الـسحب تجرّ الـذيل فـي   عبسة الليل وصبح البسمات
فـــي ظـــلام الليـــل أيـــدٍ خفيـــت   تـسلب الأوتـار أحـلام الحيـاة
تتمطـــى فعـــل ســـكران علـــى   ســرر الــريح وأنغــام الحــداة
لـــو يطيـــق القلـــب لاســـتنزفته   أو تطيق العين أهدت لمعات
تلـك أشـواقي علـى مـتن الهـوى   فاحـذرن منهـا سـعير الزفـرات
كلمـــا حاولـــت نـــسيان الهـــوى   جـــدد العهـــد صـــفاء الزفـــرات

* * *

أيهـا الخفـاق فـي عـرض الفـضا   فوق مغنـى الطيـر رهـن النـزوات
ناشـــراً ألويـــة الزهـــو علـــى   وحـشة الليـل وصـمت الفلـوات

ثمــلاً والعــين منــه جــذوة　　بـين أرقـام كأهـداب المهـاة
جامعـاً مـا بـين أرواح الـصبا　　وقلـوب سـامها ضـرّ الـشتات
لــوذعي يفقــه الرمــز ومــا　　أودع القلـب حفيـف النـسمات
عقـد الأنـس علـى أسـلاكه　　قبـة تـأوي إليهـا النغمـات
تجمـع الأزمـان والبلـدان فـي　　رقعـة دون اتـساع الرقعـات
أنهــر ســود كحيــات لهــا　　في سكون الليل بيض الحسنات
دفقــات النــار فيهــا جــدول　　صـاخب الأمـواج عـالي الوثبـات
معجـزات الفـن أنطقـن الهـوا　　كبّـر الجـن لتلـك المعجـزات

* * *

أيهــا المــصلوب لا ذنــب ولا　　خـامرت لبـك أغـراض الأذاة
يا رسول الحب في البعد وفي　　طرب القلـب، وسـحر اللفتـات
سـجل العهـد وبلـغ مـن نـأى　　أن للأشـواق فـي الجـو رواة!

* * *

ألا يا بحرُ..

هـــديرك أم أنـــين الظاعنيـــا   وموجــك أم دمـــوع الواجـــدينا
ألا يــا بحــر حـــدثني فأشـــكو   عــسانا نلتقـــي روحـــاً ودينـــا
أتهتـــاج الزوابـــع منـــك قلبـــاً   شـــفيقاً مائجـــاً عطفـــاً ولينـــا
فيخفــق قلبــك الخفــاق حينـــاً   ويعـبس وجهـك الوضـاح حينـا
وتفـصلك الـشواطئ عـن حبيـب   وترعـــى عهـــده رعيـــاً أمينـــا
وتحيـــي الليـــل همهمـــة ووجـــداً   معيـــداً ذكريـــات الغابرينـــا
أيـــشقى مثـــل شـــقوتنا خـــضمّ   ويجهـد مثـل جهـد العالمينـا

* * *

ألا يـا بحـر كـم أضـفيت عرفـاً   وكـم هاجـت لواعجـك الحنينـا
وكـم لمعـت بـصفحتك الـدراري   تـــسامرها عيـــون العاشـــقينا
وكـم لثمـت شـفاهك مـن ثغـور   مرطبـــة هيـــام الظامئينـــا

وكـــم جيـــد نثـــرت عليـــه دراً   تجمّـــد مـــن دمـــوع الغارقينـــا

وكـم واريـت مــن قلـب كئيـب   تحــول فيــك مرجانـــاً ثمينـــا

غمرت النـاس فضلاً لا يضاهى   وأجزلـــت النـــدى للرائـــدينا

ولكنـــي علـــى فقـــري أُزجـــي   نـــوالاً دون سُـــؤْل الـــسائلينا

منــاي الموجــة البيــضاء تــذري   علــى روحــي صــفاء الراقــدينا

*   *   *

إلــى القَمَــر

يــا أيهــا القمــر المختــال فــي الأفــق
رفيـــق كـــل شـــريد دائـــم القلـــق
حبيـــب كـــل كئيـــب لا حبيـــب لـــه
نجــيّ يوشــع فــي الأهــوال والفــرق
إن كنــت خلــواً جمــاداً لا حيــاة بــه
ولا بلابــل فـــي الأغــصان والــورق
أو كنـــت لا كـــوثراً تجـــري منابعـــه
بــين الهــضاب وبــين الــورد والحبــق
فأنـــت طيـــف لـــصب شـــاعر دنـــف
يهـيم فــي الظلمــة العميــاء بــالطرق
كأنـــــه بـــــين أحيـــــاء النجـــــوم إذا
عــمَّ الهــدوء وحانــت ســاعة الغــسق
يقلــب الطــرف فــي مــا حولــه شــغفاً
بكـــل روض ونجـــم فـــاتن الحـــدق

يزيـــده الـــشوق نيرانـــاً فيطلقهـــا

ملء الفضاء بوحي الوجد في الحدق

* * *

ترى شعاعك من نـور الـشموس همـى

أم مـن شـعاع عيـون همـن بـالأفق

أم أنـــت بحـــر ضـــياء لا حـــدود لـــه

تـدفق النـور مـن شـطيه فـي الـشفق

تجـري الأمـانيُّ فيـه وهـي سـابحة

جـريَ القـوارب فـي أمواجهـا الـزرق

* * *

أخـال واديـك فـي الأمـساء أنديـة

تـضم نخبـة أهـل الفـن والعـشق

فمـا رفعـتُ إليـك الطـرف ناعـسة

إلاّ لمحـــتهم فـــي كـــل مفتـــرق

فتلـــك أعيـــنهم أنوارهـــا اجتمعـــت

فـي عينـك الثـرّة الـنجلاء بـالأرق

* * *

عَـروسُ الشِـعر

عروسـةَ شـعري أيـن أنـت فنلتقـي

لقـد زاد بعـد الهجـر حـرُّ التـشوق

تبعتـــكِ لا أدري مكانـــك إنمـــا

لمحتـكِ لــيلاً بــين ظـل ورونــقِ

فهمتُ بوادي الشعر أنشدك الهوى

وقلـتُ أيـا كـأس الغـرام تـدفقي

وسـرعان مـا غـاب الخيـال مودّعـاً

فأصبح شغلي بالحنين الذي بقي

* * *

سـألت نجـوم الليـل عنـك فخلتهـا

عيونـاً تغاضـت عـن ضـياك لتتقـي

وساءلت أزهار الربى: هل عشقتها

فقالت بلى! لكنها لم توفق

وساءلت غصن البان قال سرقتها

ألا إنها إن تأمر القلب يخفق

وقهقهت الأنهار هاتفة بنا

لقد كانت الحسناء تأتي فتستقي

ولكنها غابت عن العين بعد ما

أساء إلى عشاقها كل أخرق

* * *

صحـِـرَاء

هــلّا علمــت بــأن قلبــي قبــل أن

يغريـــه حبـــك كـــان كالـــصحراء؟

لا واحـــــة فيـــــه تـــــرفُ بظلهـــــا

طيــر الفــلا طربــاً علــى الأرجــاء

هيا انظري ما قد خلقت على المد

ى مــن أعجــب الأحــوال والآراء

حتــى البــوادي قــد تبــدت روضــة

خــضراء طيبــة الــشذا والمــاء

ولــو ان أهــل الربــع حلــوا ســاحها

لــسرت إلــيهم نفحــة الأفيــاء

* * *

الربيـــع

بعثـت المنـى والـدهر خـلٌّ مـساعف

أيـا زهـر، والمـشتاق راج وخـائف

كـأن الـدراري فـي خيـالي طيوفـه

إذا نمـت نـاداني مـن الغيـب واجـف

وقلـت لربـع فـي الجبـال معـرّس

وقـد سُـترت بـالثلج تلـك المـشارف

ومـيض بـشعري مـؤذن بـصباحه

ونـار بقلبـي والـسحاب تكـاتف

دعـوني أكـن زهـر الربيـع فإنـه

ليغمـره ثلـج ويحييـه هـاتف

أفـاق علـى شـدو الهـزار مـضمخاً

بأطيابـه، لله تلـك المعـاطف

فأبـدع، والفـن المخلـد نـشوة

وصـوّر، والـروح المـشرد هـاتف

غـصون إذا حـل الربيـع بظلهـا

ترامـت إلـى الـرقص الـدمى

فأمـسكن بالأيـدي يقـرين بينهـا

ومـن حولهـا الأطيـار، تلـك المعـازف

فجـددن عهـد الأنـس غـض شـبابه

ونابـت عـن القفـر الجـديب الطرائـف

فـلا تـرب إلا اخـضَرَّ يجلـو خريـده

ولا غـصن إلا دغدغتـه الهواتـف

كـأن هيـام الـريح جُـنَّ جنونهـا

بـشائر وحـي أو حبيـب يكاشـف

تمـدّ لـه الأغـصان أفيـاء وشـيها

فتزهـى أماليـد الـشآم الرفـارف

إذا حفلت روض الشآم دعونني

فأقبلـت أطـري حـسنها لا أُخـالف

أناشـد فـي عـرس الربيـع حمامـة

تغـرد للأزهـار والطيـب عاصـفُ

وادي الهـوى

ربـــوع زحلـــة، حيـــا الله مغناهـــا
وزادهـا مـن غـوادي الفـضل أسـناها
واديـك وادي الـهـوى هاجـت بلابلــه
علــى الغـصون فمــا تهـدا حناياهــا
صفا الـزلال وطـاب الكـرم واضـطرمت
جوانـــب الـــسفح إشـــعاعاً وأمواهــا
كــم نزهـــة بــضفاف النهـــر يــذكرها
كأنهـــا مزجـــت بـــالراح ذكراهـــا
ربــوع زحلـــة هـــاتي الكــرم نعــصره
فـــإن فيـــه أحاديثـــاً طويناهـــا
كانـت بنـا . ردحاً . للحسن جولتـه
فليغفـــر الله للحـــسن الـــذي تاهــا
لـم يبـق منهـا سـوى الآثـار تنثرهـا
ريــح الـصبابة . والآفــاق مـسراها

* * *

لله ذكـرى الهـوى يـوم التقيـت بهـا
تجلـي الـسواد عـن الآمـال عيناهـا
أشـتاق طلعتهـا مـا البعـد فرّقنـا
يـا ليـت للـشوق حـداً حـين ألقاهـا
استعذب الطعنـة الـنجلاء مـن يـدها
وأسـتطيل مـدى الأيـام لولاهـا
وأطلـق العـين ترعـى فـي محاسـنها
وأمـلأ القلـب مـن ترديـد ذكراهـا
مـواطن الـروح لا جفّـت جوانحنـا
شـوقاً إليـك ولا قـرّت حمياهـا

* * *

يـا روعـة الجبـل الـشماء قمتـه
يـا حبـذا منـك مثواهـا ومغـداها
تـأوي الـدراري إليهـا فـي دجـى حلـك
يـشوقهن ظـلال فـي زواياهـا
يرقصن حينـاً علـى الأمـواج فـي ولـه
والنهـر ينـشدهن اللحـن تيّاهـا
أو ينحـدرن إلـى شُـم الجبـال ومـا
يطـأن أجـرد إلا اخـضَرَّ أو بـاهى

أو ينـــسللن إلـــى الغابـــات نائمـــة

يـــوقظن فـــيهن أرواحـــاً وأشـــباها

هـذي العناقيـد مـن راح ومـن ثمـل

رجـــوعهن إليهـــا كـــل دنياهـــا

كانـت لهـن عقـوداً يـزدهين بهـا

من قبل أن تصبح الأغصان مهواها

حتى إذا انجاب ستر الليل وانهزمت

جيوشـــهن وبـــات الغيـــب مثواهـــا

نـــسينها آن لاح الفجـــر مفتـــضحاً

دمـــوعهن التـــي غمـــت حفاياهـــا

كـروم زحلـة نـامي فـالنجوم هنـا

يقظـى وهدهـدة الأمـواج أشـجاها

* * *

إلى فاطمة[1]

- ١ -

سكرت بخمر الله من نبعة الهوى
مشعشعةٍ بالنور والعطر والندى
معتّقة رغم اخضرار دنانها
مصوّرة في كل غصن تأوّدا
فكل مُغنّ لم يذق طعمها هنا
وكل غويّ عبّ من كأسها اهتدى
حصان كأقداح الشراب وضاءة
ووشي ربيع في سطور تجدّدا
تجيل عيوناً فيك وهي مشيحة
فتعلن ما يخفى وتكتم ما بدا

(١) هي الشريفة الآنسة فاطمة اليَشْرطية كريمة الشيخ علي اليشرطي رأس الطريقة الشاذلية في مدينة عكا بفلسطين.

فخـذ مـن يـد الحـسناء مترعـة بمـا

أفاض عليها القلب من رجعة الصدى

– ٢ –

حـلا الـسهاد وطـاب الأنـس والـسمرُ

وأقبـل البـدر فـي ركـب الألـى سـفروا

يطــلُّ مـــن غابـــة خـــضراء وارفـــة

يزيـد فـي حـسنها التغريـد والعطـر

ألقـــى عليهـــا حبـــالاً مـــن مفاتنـــه

يكـــاد منهـــا ظـــلام الليـــل يـــستعر

مـضى الزمـان ولـم تـذهب نـضارتها

كأنمـــا قـــد ســـقاها الحـــب والـــذكر

أممتهـــا ونجـــوم الأفـــق قافلـــة

دليلهـــا البـــدر يبـــدو ثـــم يـــستتر

تهـيم فـــي رحبـــة الآفـــاق شـــاردة

هيـام ظعـن إذا لاح الـدجى نفـروا

بعـض فـرادى وبعـض بينهـا زمـر

فـي مثـل إلفـة عـشاق لهـم بـصر

ورحت أصغي فما زاد الحديث على
قول النسيم بأن الصبح يزدهر
وأن فاطمة الزهراء طلعته
في بردتيها توارى الشمس والقمر
صوفية القلب ملء العين أفرغها
في قالب أشرقت في صوغه الغرر
هي الشباب وما غضّ الشباب سوى
نضارة القلب إذ تسمو بها الفكر
كأنما لمسات الخير بادية
على محياك أمواج لها صور
من كل عاطفة شماء راوية
روائع الفضل لا لغو ولا هذر
شبه المياه على اللألاء دافقة
بين الخمائل والأزهار تبتدر
هوى الفواطم بعض الدين متعته
إن الفؤاد بريّا الحب مختمر

* * *

لما رأيت جميع الصحب قد هتفوا
جهراً بفضلك خلت الطير تعتذر

لطالمــا حــسدت مــا راق مــسمعها

مـن كـل معنـى شـريف اللفـظ مبتكـر

أنــت الهتـوف وترجيــع الحمــائم مــا

بين الغصون صدى الأحباب ما شعروا

لـو قـد ملكتِ مـن العقيـان مـا ملكـت

يمنــاك مــن نعمــة الأفــضال تنهمــر

لكنـــت أثـــرى مـــن الأكـــوان كلهـــم

وكـــان كـــل شـــعاع فيـــك ينحـــصر

يـــا بـــسمة بـــشفاه الفجـــر بارقـــة

مـــن ذا رآك ولـــم يفـــتن لـــه بـــصر

لولاك لم يبق لـي فـي الربـع من ثقـة

أو حسن ظـن ولـي مـن فعلهـم عـذر

أُســـائل الـــنفس إذ أصـــغي للـــؤمهم

ألـــيس بـــين الـــورى شـــهم إذا ذكـــروا

حتـى طلعـت علـى الآفـاق فـي سحر

فكـــان للفجـــر مـــن أنـــوارك الظفـــر

مـا أنـت إلا نـسيم الـروض هبَّ علـى

الأغـصان ينعـشها والـوهج مـستعر

هفـا الكئيـب إلـى ناديـك فانقـشعت

عنـــه الغيــوم ولاح الفجــر واليـــسر

فمـــا لقينـــاك إلا استأنـــست كبـــد

ولا ذكرنـــــاك إلا هاجنـــــا الأثـــــر

الأنـــس عنـــدك تـــسبيح يرافقـــه

شــدو الهــزار ونجــوى الله والــسور

لله فرعـــك فـــي العليـــاء متـــصلاً

بجنـــة الخلــد يعلــي مجــده القــدر

كــأن عينيــك فــي الجنــات نــاظرة

أنـــى التفـــت يـــشع النـــور والزهـــر

أشــتاق ظلــك ممــدوداً علــى ســعة

يؤمــه فــي الهجيـر البـدو والحـضر

* * *

أحمد شاكر الكرمي[1]

حُرِمتَ حنان الأم والأخت والصفا
وعشتَ غريباً خافق القلب نائيا
ولما عراك الداء لم يُجدِ طبهم
ولا عرفوا سراً لدائكَ شافيا
تركت بجو الدار أبهج صورة
وقد صنتها بعد العباد تفاديا
كأنك باقٍ لم تغب عن عيوننا
ولا عصفت ريح تزعزع ناديا
فلما دهاك الموت أصبحت لا أرى
سوى القبر ملهوف الجوانح باديا

---

(١) أحمد شاكر الكرمي أديب وناقد ومترجم فلسطيني الأصل، ولد في (طولكرم)، ودرس في الأزهر، وعاش في دمشق حيث أصدر جريدة (الميزان) عام ١٩٢٥. توفي بداء الصدر عام ١٩٢٧ وكان أحد كتّاب مجلة «العروس».

تـــضمّك أُمّ كنـــت قـــرّة عينهـــا

وكنــت إليهــا تــائق الــنفس صــاديا

ومـن حولـه نهـر مـن الـدمع صـاخب

تفـــرع مـــن كـــل العيـــون ســـواقيا

وكنـت أُمنـي الـنفس أن سـوف نلتقـي

وأن لـــيس بـــدّ مـــن رجوعـــك ثانيـــا

فأهرقـــت كأســـي لا أريـــد تعلقـــاً

بحبـــل حيـــاة لـــم تـــذر قـــط صـــاحيا

لعـلَّ للأرواح

بينـي وبـين الـشعر عهد علـى　　طول المـدى أصبو إلـى عذبـه
تــزاحم الأحــلام فــي خــاطري　　تــزاحم الأشــجان فــي نـهبــه
يلـوح فـي عينـي عهـد الـصِّبا　　مــا غــرد القمــري فــي دربــه
أطيابــــه فائحــــة روضــــها　　تجـري بــه الأنهــار فـي دربـه
غــــاب ظليــــل طلّـــه خمــــرة　　ولـو همـت سـيلاً علـى ثوبـه
ظـــل ظليــــل فيـــؤه رحمـــة　　وإن طفـــا المــدرار فــي وهبــه
ويـــدره نـــور يـــشق الـــدجى　　ومـــاؤه الـــصهباء فـــي ذوبـــه
يـا للقـوافي يـوم تجلـى المنـى　　برؤيـــة المحبــوب فـــي قربـــه
محــدثات عـــن هـــوى شـــاعر　　للــنجم للريحــان فــي خــصبه
لليلـــة القمـــراء فـــي جودهـــا　　للجـانح المكلـوم فـي نـصبه
لنـــا جمـــال الكـــون أنـــشودة　　تعيـدها الأصــداء فــي رحبــه
مهيبـــة بالنـــــاس آياتهـــــا　　فيمن خبا الإحساس في قلبـه
لعـــل لـــلأرواح مـــن يقظـــة　　يـشدو بهـا الخفـاق فـي كربـه

*　　*　　*

غنـاء الطيـــر

قيـــل لـــي والعـــين ذاهلـــة   إن تغنـــي تُلهمـــي الـــدهرا

أتغنـــي الطيـــر مـــن طـــرب   وهـــي فـــي أقفاصـــها أســـرى

مـــا تركـــت الـــشعر عـــن ملـــل   غيـــر أنـــي لا أرى شـــعرا

فجنــــاح هــــاج هائجــــه   وجنـــاح قـــد وهـــى كـــسرا

* * *

اعــصفي يــا ريــح لا تَــذَري   فـــي الربـــى زهـــراً ولا عطـــرا

وابعثـــي الأنفـــاس بـــاردة   جمـــداً يـــستوقف النهـــرا

وأثيـــري الوجـــد كامنـــة   واهـــصري آمالنـــا هـــصرا

فأنـــا يـــا ريـــح باقيـــة   للمنـــى للـــشوق للـــذكرى

أغـــرس الأزهـــار فـــي حلمـــي   عـــلَّ مـــن أرواحهـــا نـــشرا

* * *

الطبيعـة

مـا لهـذي الرّبـى تـضوّع عطـرا		أذَكَـرْنَ الأحبـاب شـوقاً فطبنـا؟!
مـــا لتلـــك الكـــروم متكئـــاتٍ		أتـــراهنّ قـــد ســـكرن فنمنـــا؟!
مُتـــع كلُّهـــا الحيـــاة فـــروض		وخمـــــار وجوقـــــة تتغنّـــــى
قل لمن باكر الرياض صباحاً		قـد حبـاك الربيـعُ مـا تتمنّـى

*   *   *

مـا لهـذا الغدير نـشوان يهـذي		مثـل صـبٍّ جـرى وراء حبيبـه
هائماً في الهضاب يمشي الهوينى		قهقهـاتُ الحـصباء مـلءُ جيوبـه
أبنـــات الأثيـــر كـــنّ قـــديماً		قد عـشقن الـسحاب وقـت نـسيبه
فاتخـذن الكهـوف سـتراً فكـان الـ		ـنهر دفقـاً مـن وهجهـا وصـبيبه

*   *   *

ما لهذي الغصون لم تخف سراً		مـن أحاديـث تحـت خـضر الظـلال
كـم هـزارٍ بنـى عليهـا فغنـى		وفـــراشٍ يحـــوم حـــول اللآلـــي

حـــدثيني أيـــا ظـــلالُ فـــإنّي   سَـــمع مرهـــف وهـــمّ مـــوال
فـي فـؤادي حفيـف غـصن ولكـن   لا هـــزار ولا فـــراش يبـــالي

* * *

ما لـهذا الجـهام فـي الأفـق يبـدو   مغمـض العين لا هدى فـي مسيره
هل رأى فـي المنـام روضـاً تجلـى   فـــي هـــضاب مرصـــعاً بنميـــره
أم تـــراه يطـــوف بـــين الـــدراري   باحثـاً عـن عهـود حـب سـميره
أي نجـم زاهـي الوضـاءة يبقـى   قانعـــاً بالإســـار حجبـــاً لنـــوره

* * *

مـا لهـذي الجبـال محـدودبات   جاثيـــاتٍ علـــى عتـــوّ الزمـــان
أتراهــا عنــد الــسحاب شــفيعاً   يـسأل الرفـق بالريـاض الحـسان
هــل تــذكّرْنَ يــوم كــنّ مروجــاً   ســـاطعاتٍ بـــالورد والأقحـــوان؟
مــدفن الهــم لا حرمــت حبيبــاً   لا زكـا فيـك غيـر زرع الأمـاني

* * *

مــا لهــذا الخلــيج يــزداد غيــاً   لهثـــات العنـــاء فـــوق أديمـــه
أتـراه يـشتاق خـضر الـشواطي   فترامـــى علـــى ضـــفاف نعيمـــه؟

زرقـة المـاء واحمـرار الأقـاحي واخـضرار النقـا وفـوح نـسيمه
صـفحة خطهـا الجمـال فكانـت فـي حواشـي الفـضا حـديث نديمـه

*   *   *

مـا لهـذي النجـوم مـضطربات يتلصـــصن مـــن ثقـــوب خفِيَّـــهْ
جمـرات فـي موقـد الله تُـصلى أم عيـون يـشهدن حـزن البريـه
أنـت فـي أكبـد الحزانـى عـزاء وغــزاة ســلبن نـــومي عــشيه
إن يـك الـشوق للنجـوم ضـلالاً فمــن الــشوق نــشوة ســحريه

*   *   *

مـا لهـذي البيـداء صـفراء ولهـى تـشفق الطيـر فوقهـا إن تغنـي
أتراهـا مـن فرقـة الـدوح تـشكو أم تــرى البيــد هــيكلاً للتمنـــي
أنـتِ فـي عزلـة التصوّف دومـاً تعبـــدين النجـــوم لـــيلاً وإنـــي
مـن رأى الـنجم قـد تـساقط حلمـاً قـد رأى القفـرُ فيـه ظـلاً لفنـي

*   *   *

مـا لهـذي الغيـوم تـشتد جريـاً قُـرَبُ المـاءِ قـد علـون المناكـب
أجـــــوار إذا أراد اغتـــــسالاً شـجر الأيـك فـي نـسيج العناكـب

يـا لَزهـرٍ إذا اسـتحم صـباحاً وغـصونٍ قـد جففتهـا الكواكـب
بصبصت أعين الطيور وودت لو ترى الروض من خلال السحائب

* * *

مـا لهـذي الزهـور منحنيـاتٍ مطرقـات رؤوسـهن اكتئابـا
هل يفكرن في الليالي الخوالي يـوم كانـت غـصونهن رطابـا
أم تثـاقلن بالنـدى فتمـشت نشوة الخمر في العروق اصطخابا
ارفعـي الـرأس يـا زهـور وميـدي إن قَطـر النـدى يفـيض انـسكابا

* * *

الأدوَاح

حـــــدّثيني فإننـــــا شـــــركاء   أســعديني يــا دوح حــان اللقــاء
نحـن صـنوانٍ فـي سـهادٍ ووجـدٍ   وبنـــا هـــزّةُ العلـــى والوفـــاء
عشش الطير في غصونك حتى   قد غدا في صدى الحفيف غناء
وفـؤادي مثـل الغـصون فـشدوٌ   ومـــــراحٌ وعـــــزّةٌ وانتـــــشاء
عـصفت فيـه عاصـفات الأمـاني   خانقــاً مــلء جانبيــه ســخاء
يهجـع الكـون والـدياجي سـفورٌ   ويعـمّ الـسكون بلـهَ الـصفاء
فننــاجي الحبيــب وهــو بعيــد   وإذا نحـــن والـــسهى أقربـــاء
فــإذا البــدر زارنــا بعـض حـين   أشــرقت فـــي ضـــيائه الأفيـــاء
وإذا اســـتوهب النـــسيم عبيـــراً   مـــن شـــذانا أو هبّـــت الأنـــواء
وملأنـــا الكـــؤوس طـــلاً صـــفيّاً   وأفاضـــت بـــسرها الـــصهباء
راح بالطيـــب مـــثقلاً يتهـــادى   واســـتجادت حفيفـــه الأصـــداء

* * *

والعَود أحْمَدُ

ألبسوني من الشباب جديداً　　واجعلوني فدى المعالي شهيدا

واسكبوا لي من الرحيق كؤوساً　　إن في رنة الكؤوس نشيدا

وارفعوا في السماء أقواس نصرٍ　　واملأوا ساحة الفضا تغريدا

فلقد عاد من أحبّ بليلٍ　　فجره هدد الدجى تهديدا

ربَّ يومٍ نضاحك القلب فيه　　قد دعاه التاريخ عيداً سعيدا

لبست غوطتي رداء قشيباً　　واستعارت من الغرام ورودا

هي روضٌ والروض يحنو عليه　　بلبلٌ ينظم الأماني قصيدا

لم تذر شدّة المظالم فيها　　نضر عيشٍ بل احتوتها لحودا

فسقاها الأمير من غيث جودٍ　　وكساها من الفخار عقودا

صاح فينا والجهل عمّ انتشاراً　　انشدوا العلم أو تظلوا عبيدا

قد وقفتم على الحضيض وطارت　　مركبات تطوي الربا والبيدا

ما لحظ الأنام نجمٌ سعيدٌ　　إنما الجهل يجعل البيض سودا

تلـك كـفّ الأميـر للنـور تجلـو　　صــار للفــتح مــوئلاً وعميــدا

*　*　*

وعلــى القبـر إن مـررتم فحيّـوا　　إنمــا الــذكر يبعــث التجديــدا

أيقظــوهم لعــل فــيهم عيونـــاً　　تبـصر المجـد قـد كفـاهم رقـودا

واذكـروهم علــى الـدوام بـدمعٍ　　مـا علـت رايــة الأميـر صـعيدا

يهتـف اللحـد إن تـدانى ليحيـا　　وإذا شـــاقنا يحيـــي الجـــدودا

*　*　*

أنّى للموت ما زعم؟..

طــرب الــدهر للقــريض وصــفّق		وشــفى القلــب بالــشراب المعتــق
ســفح الخلــد بعــد ألــفٍ تقــضّت		فـضلة الكـأس فـي الـرميم فـأورق
عجبــاً للــضريح يــصبح روضــاً!		تتنـــادى الطيـــور فيـــه وتـــأرق
أيّهــذا الخمــار فــي كــل قلــبٍ!		ثمـــل الجـــو بالـــشذى فتـــألق
موكــب النــصر قــد قــدم		عازفـــاً أطـــرب الـــنغم
باذخـــاً كـــان مجـــده		طـــأطئي أيهـــا القمـــم

* * *

ســرحة الخلــد قــد توشّــت رباهــا		بـــالأزاهير عـــاطرات الثغـــور
هــا هــي الحــور حولــه راقــصات		يتراشـــقن بـــالجنى والنثيـــر
ســابحات بــالنور، بالطيــب يجــري		وظـــلال الـــرؤى، حيـــال الـــسرير
صــدحات القـرار فـي مـسمع الخلـد		ومجـــد الآبـــاء مـــلء الـــدهور
شـــاقه الـــسبق ســـاجعا		فـانحنى الكـون خاشـعا

فاضــــفرِ الغـــار ناضـــرا   للفتـــى المفــرد العلــمْ

.

يـا جنـان الخلـود ! إن ضـقت بابـاً   لـم تـضيقي عـن الفـؤاد المبـرّح

حمــل الهــمّ والهــوى والأمـــاني   ولقـــد طـــار بـــالجواد المجـــنّح

يقـــرع البـــاب آمنـــاً بعـــد روعٍ   ولأمثالـــــه الجنـــــان تُفـــــتّح

حـــدثينا! فمـــا المـــدام بأشـــهى   مـن حـديث الحبيـب يـورى ويقـدح.

شــاعر الوجـد والهـوى   فـــارس البيـــد والـــوغى

يـــا منايـــا ترجلـــي   أنّـــى للمـــوت مـــا زَعَـــمْ؟

* * *

يــا نبــي الهــوى! ســماؤك مرعــى   العـــز، والعـــز صـــبوة وغمـــار

هل سرى في الحشا دبيب اشتياقٍ   أو دعـــا للجهـــاد يومـــاً فخـــار ؟

لـــم يـــك للترجمـــان فيـــه بيـــانٌ   يـــتلالا كمـــا تـــلالا النهـــار

فكـــأن الأصـــداء وقـــفٌ عليـــه   وكـــأن الآيـــاتِ كـــأس تـــدار

حـــرّك الطـــرس ينجـــلِ   عـــن زئيـــرٍ مجلجـــل

أيهـــا الأُسْـــدُ زمجـــري!   واطربـــي أيهـــا الـــرِّمَمْ!

* * *

أيهـــا الفـــارس الـــشريد المغنّـــى فاتـك العـرش ، ذاك حـظ المغلّـب!
مـــا رأى المـــائتون مثلـــك صـــبا يعتلـي العرش، وهـو رمـسٌ مغيّـب
كلمـــــا رام معـــــشرٌ أن يقولـــــوا قلـت عـنهم، وكـان قولـك أطـرب
أجـدر النـــاس بـــالعروش قـــريضٌ مـــستبدٌ بالقلـــب يزهـــو ويلعـــب
كـــان للـــروض فوحـــه ومـــن الجـــيش روحـــه
يـــا عـــوالي تقاصـــري صـاحب الحـرب مـن نظـم

* * *

سـادر الطـرف بـين همـسٍ ونجـوى ما دجا الليل، أو وعى الفجر لحنا
إن رأى الطرس هاجـه الطرس شـوقاً كهـــزارٍ يـــشتاق عـــشاً وغـــصنا
وحـــشة تـــسخر الولائـــد فيهـــا.. عاريـــات الجـــسوم إنـــساً وجنّـــا
ســـاخرات مـــن القيـــود اعتـــزازاً بارعـــات الجمـــال لفظـــاً ومعنـــى
يـــــا دراري تـــــألقي يـــــا قـــــوافي تـــــدفقي
كلمـــا شـــال بحرهـــا شـــقّ أســـطوله الخـــضم

* * *

حـــسدوه علـــى الهمـــوم، وودوا لـــو تـــساوى بالخـــاملين هبـــوب
جـــاد بـــالروح لا جبـــان ولا بـــاغٍ ولكـــن كمـــا ارتمـــى العنـــدليب

ومــضات النجــوم فـــي ناظريـــه والقـــــوافي، وكلهــــنّ لهيـــــب
يبـــــذل الـــــنفس آنفـــا إذ يـــرى المـــوت واقفـــا
ضـــجّت الأرض إذ هـــوى ملــــك الجـــو والأجـــمْ

* * *

يهمس القلب، حين لا أذن تصغي همـــسات الهـــوى بكـــل جميـــل
إن روح الحيـــاة يقظـــة حـــسٍ فـــي ليـــالٍ موسوســـات العقـــول
تبلـــغ الـــنجم لحظـــة ثـــم تهـــوي ســـابحاً فـــي عبـــاب لـــجٍّ صـــقيل
لـــك مـــا شـــئت مـــن خيـــالٍ ولحـــنٍ ونـــــديم وظـــــل دوحٍ ظليـــــل
ربَّ قلــــبٍ تملمــــلا ... يعبـــد الحـــسن مغفـــلا
يـــا صـــبايا! هـــل الهـــوى غيـــر فـــيض مـــن الحلـــم؟

* * *

ســـال ســـيف البيـــان وهجـــاً وحـــرّاً أنـــف الكِبْـــرُ أن يعـــيش مهينـــا
وأراق الـــدماء، هـــا هـــي تنـــزو بـــين ســـحرٍ يثيـــر فيهـــا الأنينـــا
وكـــأن الألفـــاظ طـــوع يديـــه! يعتـــق العبـــد أو يفـــك الرهينـــا!
فـــإذا رقّ، رقّ مـــــاء وســـــحر أترعـــا وحـــشة الكـــؤوس حنينـــا

دمعــة الرفــق لــم تــزل...   تمـــلأ الكـــأس والمقـــل
فهـــي للـــروح نـــشوة   روقتهـــا يـــد القـــدم

*   *   *

راح عمــر الزمــان وهــو يغنـــي   بأغانيـــه يـــستزدن الـــدوّيا
يــا ومــيض البــروق فــي كــل داجٍ   أي ســـرٍ جلـــوت ظـــل الخفيـــا
شـــاعرٌ أنـــت للعـــلا والأمـــاني   تتـــراءى فـــي كـــل عـــصرٍ فتيـــا
أخـرس المـوت صـوته، يــا لَغَـدرٍ   خَسِىءَ الموت ، ليس يخرس شيّا!
غنّـــه الـــشكر يـــافتى   وانـــشد العـــزّ مـــا غـــلا!
لـيس مـن عـزٍّ بـالغنى   مثـل مـن عـزّ بالـشمم!

*   *   *

أعيدي إليَّ...

أأيامنـــا فـــي ريـــاض المنـــى　　أعيـدي إلـيَّ ابتـسام الـشباب
فقـــد أذكرتنـــي زهـــور الربـــى　　كـؤوس هـوى طافيـات الحبـاب
إذا العيش لـم يبـقَ فيـه سوى　　بياضِ المشيب وذكرى الصحاب
فـلا كـان عـيشٌ ولا كـان مـا　　تجـود الحيـاة بـه مـن سـراب

*　*　*

أعيــدي إلــيَّ جنــون الــصبا　　فلـيس جنـون الـصبا بـالجنون
ولكنـــه الحلـــم مـــلء الحـــشا　　يمازجـه سـحر بعـض العيـون
يهيـــب بقلبـــي نـــداء العلـــى　　شـجياً يـشق حجـاب الـسكون
فـإن كـان ذا الـشيب بـدء الردى　　فمـا لـي ومـا لغمـار الفنـون

*　*　*

أعيـــدي إلـــيَّ هيـــام الـــصبا　　فـأمرح مـا بـين سـفحٍ وواد
وأسـتبق المـوج فـي الـصخب لا　　أراعـــي نـــصيحة خـــلٍّ وهـــادْ

وآتـــي فنـــون الطياشـــة مـــا   حـسبت الطياشـة عـين الـسدادْ
ألا رحـــم الله عهـــداً خـــلا   وكــان الـضلال وكــان الرشــادْ

*   *   *

أعيـدي إلـــيَّ أغــاني الـصبا   فأنـشدك الـسحر تحـت الظـلالْ
تَرَجّعـه الـوُرْق عـالي الـصدى   معانيـــه مـــا بيـــنهنّ ســـجالْ
ويجري بـه النهر طول المدى   علـــى معــزفٍ رصّــعته الــلآلْ
بروحـي حفيـف غـصون النقـا   يــردد لحــن الهــوى والجمــالْ

*   *   *

أعيـــدي إلـــيَّ نـــشاط الـــصبا   فأجهــد حتــى طلــوع الــصباحْ
وأحـــسبني فـــوق كـــل الـــورى   نفـــوذاً ومجـــداً ولهـــواً مبـــاحْ
ومـــن للخلـــود ومـــن للعلـــى   ســوى مــستهامٍ عزيــز الجنــاحْ
يغــذّى ويــروى بــراح المنـــى   وفـــي صـــدره نفحـــات الأقـــاحْ

*   *   *

أعيــدي إلـــيَّ أمـــاني الـــصبا   فــألبس تـــاج المليـــك القـــديرْ
وأبلـــغ بـــالفن أعلـــى الـــذرى   إلـــى أن يحطـــم غـــلَّ الأســـيرْ
وأسـخو، ومـا جـفّ كـف النـدى   وأحبـــو العـــراء كـــساء نـــضيرْ

فيــا للأمـــاني ريـــاح النـــوى عـصفن بهـا رغـم جهـدٍ كثيـرْ

* * *

تعـــالي ننـــاجِ ربـــوع الهـــوى ونـــسقِ ثـراهنّ خمـــر الـــشهودْ

فمـــا شـــرب الفقـــر إلا انثنـــى جنانـــاً تهـــافَتْنَ حمـــر الـــورودْ!

تطيـب النفـوس بـذكرى الحمـى وأطيـــب ذكـــرى خفـــوق البنـــودْ

فهـل مـن رجـاء بعـود المنـى وهـل مـن لقـاء يعيـد الـصدودْ

* * *

تعـــالي نجـــددْ عهـــود الـــصفا ونفـرغ كـؤوس الرحيـق الـصفيّ

ليحمـــرّ وجـــه الغـــدير متـــى تلونـــا نـــشيد الحنـــين الخفـــيّ

قنعنـــا بنـــار الخيـــال فمـــا لـــذاك الـــضرام بنـــا ينطفـــي

فيـا وحـشة الربـع مـن بعـدنا يـــسائل عنـــا ولا يكتفـــي!!

* * *

في حديقة بغداد

لــي وقفــةٌ والــوردَ عنــد الـضحى　　أبثـــه وجـــد الفـــؤاد الكئيـــبْ
أصغي إلى همس الغصون وما　　تـــسرّه الفيحـــاء للعنـــدليبْ
أسري فيجري النهر في جانبي　　والزهــر نــورٌ وافتتــانٌ وطيــبْ
أعـيش دهـري فــي صـفاء فـلا　　ينــزل منــي الهـم صـدراً رحيـبْ
الــدوح أهلــي والهــزار المنــى　　والـروح تهـوى غمغمـات الحبيبْ

*　*　*

حياة الأديب

إن صـفت خمـرٌ بأقـداح الهـوى مــال يجلوهــا بأبكــار البيــان

أو شـكت طيـرٌ بـأوداء الحمــى هاجــه النــوح فأبكــاه جنــان

أو هفــا صــبٌّ لمعـسول اللّمــى راح يشكو مثلـه جـور الحسان

إن تقولـوا مــا بــه مــن لوعــة لـيس مـا فيـه التيـاعٌ بـل حنـان

كــل قلـــب فـــي البرايــا قلبـــه فــارحموه إنـــه قلــب الزمـــان

*   *   *

وشاح حواء

كان للدوح في القديم وشاحٌ جرّ فيه على الغدير ذيولا
عاطر الفوح ناعم النسج رطبٌ مثل بُرْدِ الحبيب حسناً وطولا
زانه في ندى الصباح لآلٍ من عقود الجنان تشفي الغليلا
غير أن الرياح أنة سخطٍ مزقت برده القديم الجميلا
ذي الوريقات من بقايا وشاحٍ لملمتها الغصون تبغي السدولا
كلما رمن وصلهنَّ احتشاماً سدت الريح بينهن السبيلا
عبثت أنمل الرياح ببردٍ لحبيبي فحاولت (مستحيلا)
ليتها أفلحت فمزق عنه فأرانا من الغصون شكولا

* * *

السُّكْرُ بالشـذى

يـا درّهـا مـن سـكرة لا رحيـق　　إلا شـذى زهـر الجمـال الأنيـقْ
فـــي روضـــة غنّـــاء ريّانـــةٍ　　تثيـر فـي المشتاق مـا لا يطيـقْ
نـشوى مـن الأنفـاس أرواحنـا　　سكرى مـن الأشـواق لا تـستفيقْ
يــا جنـــة الأرواح إن تحملـــي　　زهر الهوى في مثل لـون الشقيقْ
فقـد تركـت الـشوك فـي جـانبي　　ينمو على الأيام دون الوريقْ...

* * *

دمشـــق الجميلة

دمـشق إذا غبـتِ عـن نـاظري فرسـمكِ فـي حـسنه الزاهـرِ
مقـيم علـى الـدهر فـي خـاطري
إذا فـتّح الـورد فـي روضـتكْ وغنّـى الهـزار علـى دوحتـكْ
يهـبّ نـسيم الـصبا هاتفـاً: أمـا والـذي طـاب فـي تربتـكْ
سـمعت شـتات الأغـاني فمـا اهتـززت اهتـزازي لأنـشودتكْ
ولا عبقـت نفحـة فـي الفـضا أحـرّ وأطيـب مـن نفحتـكْ

* * *

ونهـر تعـشّق ضـوء القمـرْ يغمغـم بـين المنـى والـذكرْ
فينتثـر فـي جانبيـه الـدرر
كأنـه والـصبح لمـا بـدا.. ودنـدن شـاعره منـشدا
فـؤاد تـصباه حـب العلـى فخلّفـه هائمـاً مزبـدا...
تـشف عـن الـصفو أعماقـه ففـي كـل قطـر تـرى فرقـدا

لأهـــوى العواصـــف هـــدارةً فهـنّ المنـــى باسـمات غـدا!!

* * *

وســـحر رواه هـــزار لبيـــبْ يـصوغ مـن الـنجم تـاج الحبيـبْ

صـــياغة فـــذٍّ قـــدير عجيـــبْ

يحـــدثنا عـــن هـــوى شـــاعر تـــسربل بالنـــاعم الناضـــر

يـــساجل فـــي شـــوقه أمّـــةً تعالـت علـى النـاس فـي الغـابر

فهـــل لـــم تهـــزك أصـــداؤه تفـيض علـى القلـب والخـاطر

فـــربَّ نـــشيد مهيـــب بنـــا إلـــى قنـــة البـــاذخ الظـــاهر

* * *

أأنـسى ؟ ألا كيـف أنـسى الـوداد ولـــيس بقلبـــي لـــه مـــن تنـــادْ

وهـل عُـرِف الـشوق لـولا البعـاد؟

ويــوم هممــت بهجــر الــوطن إذا كـل مـا شـمت فيـه حـسن

فجُـــرْدُ أعاليـــه مخـــضرة وقفـر صـحاريه روض أغـن...

ومـا حـرّه غيـر بُـرْدِ الـصبا ومـا ظنّـه غيـر رفـق الـزمن.

ومـا اللـؤم طبـع العدا بـل همـو كـرام حبـوا مهجتـي بـالمنن.

* * *

أنـــا وبـــلادي مللنـــا الجفـــاء كلانـــا محـــبٌ قـــوي الرجـــاء

شـــهيد علينـــا العلـــى والوفـــاء

فـــلا أنـــا أنـــسى جميـــل البلـــد ولا هـــو ينـــسى ولاء الأبـــد

ولكـــن عـــدو خفيـــف الحجـــا تأكلـــه نزعـــات الحـــسد..

رمانـــا فكنـــا كمـــا يـــشتهي... يفرقنـــا فيـــه حـــب الـــصمد.

كـــأني بخالقـــه غـــادة... تنـــازع حبهـــا شـــيخا بلـــد.

* * *

ومـا الـدين أن نستشير الـشجون بل الدين في الناس قلب حنون

يفـيض مـن الخيـر غيثـاً هتـون

بروحـــي مناهلـــه الـــصافيهْ تـــلألأ عـــن نـــشوة عاليـــهْ

وإن فـــي الـــبلاد ومـــا أنبتـــت.. جنـــان معطـــرة زاهيـــهْ...

إذا ذكـــر القلـــب أوطانـــه فـــإن دمـــشق لـــه قافيـــهْ...

فزدنـــي مـــن كرمهـــا رشـــفة فأمـــشي علـــى شـــوكه حافيـــهْ

* * *

بـلادي هـي بعض من قد هويت ريـاض سـعدت بهـا أم شـقيت

أنـاجي بهـنّ المنـى مـا حييـت

فكم لي فوق الثرى من ذمم   وكم لي تحت الثرى من رمم
ولو لم يكن فيه غير أبٍ...   وأمٍ لكان الحمى والعلم...
إذا فاخر الغير في قطرهم   فوادي الشآم بأعلى القمم!
فلا نضب الجود في سُحبه   ولا عرف الخصب فيه الهرم.

لبنـــــان

عـدنا فمرحـى يـا زمـان الـصبا　　نـستقبل الأنـوار فـوق الأكـم
هل يا ترى في الناس من مبلغ　　أنّـا ملأنـا العـين ممـا انـسجم
يـا حبّـذا لبنـان ربـع النـدى　　منتجـع العـافين، مجلـى الـشمم
يهـزأ بـالأوداء مـا طأطـأت　　وأيـن لـلأوداء مجـد القمـم؟

* * *

علـى ذراع الأفـق ممتـدة　　ينـام لبنـان الكثيـر الأرق
معطـر الأنفـاس ذو فـروة　　تعبـث فيهـا الـريح بـين الـورق
فـي طلعـة الحـسناء محجوبـة　　طـوراً، وطـوراً فـي سـنى يـأتلق
كأنـه والغـيم فـي موجـة　　طفـت زخـوراً فـي رحـاب الأفـق

* * *

لبنان حدّث عن رشاش "الصفا" عــن أرزه يلــثم خــد القمــر
عن وثبة" الشاغور"[1] مستطلعاً عن ركضة "الباروك"[2] بين الشجر
عن "إهدن" قامت على منبر فــي حلقــة الريحــان لا تــستقر
عن الكروم الخضر تحنو على مهامــه يهــدين أحلــى الثمــر

* * *

أطوف وحدي ليس لي مؤنس إلا هـــدير النبعـــة الرافـــدهْ
أرعى قطيعاً من ضيوف المنى فـــي ذروات الغابـــة الـــصاعدهْ
طـود رسـا أم سـلّم مـن رؤى أم غابـــة أشـــجارها ســـاهدهْ
أم قبـــة خـــضراء قدســـية أم نـــشوة روعتهـــا خالـــدهْ

* * *

أيـــام لبنـــان وتـــذكارها أحلى انطلاقاً من غناء الربابْ
مـا هـنّ إلا الـدهر فـي صـفوه إلا الأماني في انقشاع الضبابْ

---

(١) تقصد شاغور (حمّانا) الذي كانت الشاعرة تصطاف فيه سنوياً.
(٢) الباروك: سلسلة جبلية في لبنان تمتد من جبال نيحا وتنتهي بضهر البيدر وترتفع (٢٢٢٢) متراً عن سطح البحر.

يغريـك طعـم الخمـر فـي مائــه   وغمغمــات فــي زوايــا الهــضابْ
طرحــت فــي لبنــان قلبــاً وهــى   فعــاد فــي لبنــان قلــب الــشبابْ

* * *

هـــذا فـــؤادي عـــالق بالنقـــا   داويتـــه بـــالعطر آن الوجيـــبْ
وذاك شـعري فـي مهـب الـصبا   وهـاك نبـضي فـي رمـال الكثيـبْ
وأطيـب العـيش افتـراش الثـرى   وشــربة مــن سلــسبيل عجيــبْ
فــي ظـل دوح عـابق بالـشذى   يهتــز فــي الإصــباح بالعنــدليبْ

* * *

جَيــــران

مــــا رأيــــت الغــــصن إلا كــــاد قلبــــي أن يطيــــرْ
أتــــــراه ذا جنــــــاحٍ مــــن خفــــوق وزفيــــرْ؟
ليــــت لــــي عــــشاً هنيئــــاً عنــــد ســــفحٍ وغــــديرْ
وهــــزار الــــدوح جــــاري يمــــلأ الجــــو صــــفيرْ
وفــــراش الحقــــل مــــن رســــلي إلــــى الخــــل الأثيــــرْ
أقطــــع الآفــــاق شــــوقاً فــــي حمــــى البــــدر المنيــــرْ
كلمــــا داعبــــت زهــــراً أرســــل الزهــــر العبيــــرْ
وإذا مــــا أينــــع التفــــاح أترعــــت العــــصيرْ
مــــلء عينــــيّ جمــــال والــــرؤى مــــلء الــــضميرْ
وعلــــى ثغــــري ألحــــا ن صــــداها يستــــشيرْ
وبقلبــــي الأمــــل الــــضا حــــك يتلــــوه البــــشيرْ

* * *

فـــإذا مـــا الـــثلج وافـــى	واختفـــى الـــورد النـــضيرْ

ويكـــى الأفـــق وغامـــت	بـــسمة الـــروض الغريـــرْ

أوقـــدت ذكـــراه نـــاراً	فـــي خـــلال الزمهريـــرْ

الذكـريات

أنـت يـا ذكريـات دهـري إذا مـا بـسط الليـل مـدلهمّ الجنـاح

فارفعي الستر فالحديث شجون لـرؤى قـد تـدوم حتـى الـصباح

أنـت مـستودع الأمـاني اللـواتي كـنّ مـن قبـل عابقـات النـواح

صـور الأمـس والزمـان شـهيٌّ تتـراءى فـي لوحـة الإفـصاح

أنت مثل الغيوم في صفحة الأفـ ـق نهـاراً مـا بـين غـافٍ وصـاح

تعكسين الأنوار شتى على الأمـ ـواج يهتاجهـا أنـين الريـاح

أنـت مـن موجـة الهيـام رشـاش نفـضته أنامـل الأشـباح

يصبح الأمس حاضراً فيك لـولا مـا نـزا مـن مـدامع وجـراح

وليغـدو العـدى كرامـاً نـشاوى شـربوا خمـرة الـولاء الـصراح

وليمـسي البعيـد فيـك قريبـاً باعثـاً فـي الفضاء ريّا الأقاحي

ويهـب المـوتى، فهـذا حبيـب يتهـادى وذي قـدود المـلاح

لكـأن الـشباب لـدن حفـيٌّ مـشرئبٌ إلـى فنـون المـراح

* * *

أسمع الـصوت أو أرى الطيف مـنهم   يتهـادى علـى النجـوم الـصباح
وأرد الـــصدى؛ وأرفـــع كأســـاً   أترعـــت مـــن عـــصارة الأرواح
وأنـا الطفلـة اللعـوب وصـحبي   نتبـــارى علـــى رمـــال البطـــاح
نتـــساقى مـــن الـــوداد صـــفياً   فـــي ريـــاض مطـــرزات الوشـــاح
ثـــم تخفـــى معـــالم ورســـوم   ليس يبقى غير الأسى الملحاح

*   *   *

همُ الأطفـــال

وراقـصة علـى نغـم الـشوادي لهـا صـوت كترجيـع الربـاب
يفـيض جمالهـا فـيض الغـوادي علـى مـا فـاح مـن زهر الروابـي
أحـب لحبهـا الأطفـال طـراً ولـو سـئم الفـؤاد مـن العـذاب
تفـاجئني وذهنـي فـي شـرود يطل علـى المواكب، من كتـابي
فتهـذي غيـر حافلـة بنقـدي وتعبـث بالـصحائف والخطـاب
تحـوّم حـول حبـي لا تبـالي سـؤالي كـان نهيـاً أم جـوابي

* * *

هم الأطفـال فـي الفردوس حلوا كـصفو الـراح فـي كـأس الـشراب
خفـاف كـالطيور إذا اطمـأنوا وإن جزعـوا اقتفـوا أثـر الـشهاب
خيـامُهُمُ علـى جنـات عـدن ومـاوُهُمُ علـى مـتن الـسحاب
وشـرعُهُمُ الهـدى واللفـظ درٌ وحـبُّهُمُ هـوى أهـلِ اللبـاب ا

* * *

النعش المجنّح

(قالت تناجي الطيارة التي أقلت
جثمان الملك فيصل الأول)

هاجه الشوق للعراق فطيري وانشري راية المليك الكبير
آيةٌ أنت، فهو فيك مسجّى وجناحاه بين عصفٍ ونور!
صعّدي في الفضاء، في الصحو، في السحب وميلي على دروب البدور
وأثيري الرياح من كل هوجاءَ نواحاً يشق صلد الصخور
ثم نادي البروق والرعد حتى يستثير الفضاء حرّ الزفير

* * *

صحت والركب طائرٌ يتعالى: قد حجبتم عن العيون الهلالا
أرجعوا الجود ضافياً يتهادى أرجعوا النبل ساطعاً يتلالا
أيها الدمع إن تسلْ فعليه أيها الشعر إن تجِشْ فسجالا
أيها العرْب إن صدقتم فهبّوا واشهدوا مصرع الجهاد رجالا
فهو للمجد يبتغيه جواباً وهو للسيف ينتضيه سؤالا

* * *

أيهـــا الطـــائر المحلـــق هيـــا   نحو بغداد، إن فـي النعش حيّا

نازلته الخطوب في الشام حتى   لـم يـدع للخطـوب زنـداً قويـا

وتركـــت الـــشآم قفـــراً يبابـــاً   لا ظـــلالاً ولا غنـــاء شـــجيا

وأبـــى الله أن يكـــون مهيـــضاً   فـــي ديـــار تعـــشّقته فتيـــا

* * *

مـا لبغـداد فـي الثكـالى نظيـر   ترقـب الجـو والعيـون بحـور

شـاحب خـدها وقـد كـان ورداً   خاشـع طرفهـا: أصـاح النـذير

إيـه بغداد مـا لـك اليـوم ولهـى   قـد عراهـا علـى الـشباب فتـور

لا زهـور تـزين الحـي بـشراً   لا غنـــاء يهـــزه، لا خمـــور

أكـذا ملتقـى الأحبـة بعـد الـشو   ق ؟ إن الهـوى أبـيّ نفـور

* * *

سرْ على الريح يا حبيب القلوب   وتخــطَّ الحــدود رغـم الرقيـب

قد ضممت الحمى فما من سدود   تفصل الصبّ عن تراب الحبيب

باحث أنت في حمى النجم تعلي   راية العرب في الفضاء الرحيب؟

أم تحب الضياء؟ ها هو نسرٌ   فـوق نعـشٍ مجـنّحٍ مخـضوب

إن صـوتاً مـن الـضريح ينـادي   هـل تطيـب الحيـاة للمغلـوب!!

* * *

أمل الفلاح(١)

مـن الفـارس المغـوار فـي سـاحة الـوغى

مـــن الـــسهم لا يثنيـــه رد الجحافـــل؟

مـن النهـر يجـري بـين كفيـه صـاغراً

يغيِّـــر مجـــراه بـــرغم الحوائـــل؟

مـن الغـصن يهتـز انـشراحاً للمـسه

ومـن ذا كـسا الجـرداء أبهـى الغلائـل؟

*** * ***

هـــو الـــزارع الفـــلاح لـــولا جهـــاده

لمـا شـمت بالريحـان حـسن المخايـل

هـو الطـود للعـبء الثقيـل وقـد بـدا

علـــى وجهـــه منـــه اتقـــاد المـــشاعل

---

(١) القصيدة التي فازت بالجائزة الأولى في محطة الإذاعة البريطانية بلندن، عام ١٩٤٧.

نبــيٌّ فقـد أوحــى إلــى القفـر بالــشذى

وعلّـــق أقـــراط الغـــصون الحوامـــل

رســـالته طيـــب وجنـــيٌ ونـــشوة

وكعبتـــه الخـــضراء حـــج القوافـــل

ففـــي جـــدّه عـــين الحيـــاة تفتّحـــت

علــى غــرر مــن كــل صــوب حوافــل

بهــا موكـــب الأرواح والكـــرم والمنـــى

يـــرف حواليـــه جنـــاح البلابـــل

يلـــين لطلـــع نـــاعم النـــسج غـــضه

لـــه صـــور الأحـــلام فـــي عـــين آمـــل

كـــأني بـــه أمٌ تلـــين لطفلهـــا

وترعـاه فــي عطـف علــى الـدهر شـامل

شــغوف بحــسن الأرض يهــوى خيالهــا

ولــو حــال دون الملتقــى ألــف شــاغل

وقــد بــات مطبوعــاً علــى لــوح قلبــه

بـــصورة روض ناضـــر الزهـــر مائـــل

تغنـــي لـــه فـــي كـــل فجـــر حمامـــة

وتحنـــو عليـــه دوحـــه فـــي الأصـــائل

فتـــسرع أســـراب الطيـــور مطيعـــة
يعـــدن، ولا يـــدرين معنـــى التكاســـل
وكلـــب حمـــولٌ للرزايـــا محبـــبٌ
رقيـــبٌ وفـــيٌّ العهـــد، لـــيس بخـــاذل
يبيـــت وقطعـــان النعـــاج ببابـــه
فلـــست تـــرى فـــي أهلـــه غيـــر بـــاذل
ومـــاذا عليـــه إن تقـــوّس ظهـــره
علـى كونـه فـي الـرقص حـور الخمائـل
لـــئن ضـــاق بـــالكوخ الـــصغير مقامـــه
فـــإن لـــه رحـــب الفـــضاء المقابـــل
خـــلا جيبـــه أمـــا الفـــؤاد فملـــؤه
حنـان يفـيض الـدهر فـيض الجـداول
تغلغـــل فـــي صـــمّ الجنـــادل روحـــه
ففجـــر بالإلهـــام أصـــفى المناهـــل
يـــشعّ مـــن المحـــراث مـــا فـــي فـــؤاده
مـــن النـــار يـــستحيي بهـــا كـــل ماحـــل
فهـــل عجـــب أن بـــثّ روحـــاً فـــرددت
شـــفاه الأقـــاحي مدحـــه بالهياكـــل

لـــئن خـــشنت منـــه اليـــدان فكفـــه

سـماح وإن الجـود بـسط الأنامـل

يتيـــه عليـــه المترفـــون بمـــالهم

ولـــيس لهـــم مثـــل ابتـــسامة عامـــل

فـإن أرقـوا لـم تعـرف الـسهد عينـه

وإن بطـروا أثنـى علـى خيـر واصـل

وإن ركبـوا أسـرى فجلّـى علـيهم

وإن سـكروا لـم يـدرِ معنـى التغافـل

وأحلـى نـشيد فـي الليـالي سـماعه

نـشيد غيـوم الأفـق تهمـي بوابـل

يـذل عقـاب الـشمّ بأسـاً وقـوة

وينـزل فـي الغابـات أعلـى المنـازل

هـو الـساعد المفتـول لا يعـرف الـونى

هـو العـزة الـشماء دون تطـاول

فمـا الزهـر إلا الـشكر حُـقّ لجاهـدٍ

ومـا الخـصب إلا مـن جـزاء المناضـل

* * *

اليتيمة

نامـت عيونـك لا الأصـباح توقظهـا

ولا التغاريـد عنـد الفجـر تغريهـا

أغضت يكحلها الترب الذي نفضت

أنامـل الـدهر مـذ فـازت مراميهـا

وكنـت ظرفـاً رضـيّ الـنفس ذا أدبٍ

وروعـة أدهـشت أبـصار رائيهـا

لهفي على الطود يهوي في معزّته

علـى القسامة ريـح البـين تـذريها

علـى المناكـب إن لاحـت لآنـسةٍ

أومـت إلـى صحبها والرفـق حاديهـا

* * *

صـفائح القبـر! رفقـاً، إن طفلتـه

أحـق منـك بـأن تحظـى براعيهـا

تـــأتي الوســـاد فتـــدعوه مقبلـــة

هـدب الوسـاد وقـد خابـت أمانيهـا

هنـا.. ينـام حبيـب القلـب والـدها

هنـا.. الأغـاني التـي كانـت تـسلّيها

هنـا.. فـراغٌ.. لمـاذا؟ أيـن طلعتـه؟

ويمعـن الليـل .. والأشـجان تكويهـا؟

أيـن العنـاق الـذي ذاقـت حلاوتـه

أيـن الـذراع التـي كانـت توقّيهـا؟

أيـن الـشفاه التـي تـصبو لقبلتهـا

مـا للمغـاني سـكوت لا تناجيهـا؟

* * *

تنـأى عـن الـصحب لا لهوٌ ولا مـرحٌ

حتـى البـشاشة فـي الغابـات تـذكّيها

تـنكّس الطـرف مـا ناجتـه شـاحبة

يروْعُهـا أن يكـون الـصمت تنويهـا

وتـسأل الدميـة الخرسـاء فـي ولـهٍ

هـل الفجيعـة قـد حلّـت بمهـديها

أمـــات (بابـــا) فمـــا ألقـــى لـــه أثـــراً

وهـل تـوارى عـن الأزهـار شـاديها

لـم يتـرك المـوت عينـاً منـه أو كبـداً

تحنـــو علينـــا إذا هبّـــت ســـوافيها

* * *

مــا زال طيفــك نــوراً فــي مخيلتــي

وصـوتك الحلـو (يـا بابـا) يناديهـا

تهـــب لـــيلاً فتنـــسينا لواعجهـــا

إنّـا اقتـسمنا الجـوى دهـراً ونـنـسيها

فهـــي الكآبـــة مـــا تنفـــك ذاهلـــة

صـــفراء مطرقـــة جمـــراً مآقيهـــا

* * *

دوحة الذكـرى

نمـا حبهـا فـي العين والأذن والحـشا

نمــوّ غــراس طيــب الأرج والتـــرب

تــرى عـصفت ريــح النــوى بنــضيره

وأخنـــى علـــى أزهــاره وهــج الغـرب؟

فيــا دوحـــة الــذكرى أثــار مــدامعي

ذبولـك رغـم المــاء والنـور والخِـصب

تريـنـــي إذا مـــا الليــل ألقـــى ذوائبــا

أحثّ إليك الـشوق في البعد والقرب

كــأني حمــام حــنّ مــن فـرط شــوقه

إلـــى أيكـــة جــرداء مكتئـــب القلـــب

يــسائلها عــن عــشه أيــن روحــه

وأيـن الـذي شـادته أمـس يـد الحـب

* * *

إلى الساقية

يا من سقيت الروض صهباء الهوى

وتفتّحـــت أبـــصاره بعـــد الـــشراب

تجـــرين فـــي ولـــهٍ كـــأن مناديـــاً

يـدعوك ظمآنـاً إلـى رشـف الرضـاب

هيـا اركـضي فـي سـاحة الـدنيا بمـا

أعطيت من هبـة الغنـاء أو الـسحاب

إنـــي لأســـمع فـــي حـــديثك نغمـــة

أخـذت طيـور الغـاب عنهـا والربـاب

مـــا إن جلـــست إلـــى ضـــفافك مـــرة

وقرأت مـا أملـى النـسيم مـن الخطـاب

إلا التفـــتّ كـــأن طيفـــاً هاتفـــاً

بـــالقرب منـــي عائـــداً بعـــد الغيـــاب

*   *   *

تصوّف

لمــــاذا إن رأيتـــك بـــين حـــشدٍ   تلاشى الكون واحتجب الوجود
فمـا يبقـى سـواك أمـام عينـي   ومـا هـاج المعـازف والنـشيد
كـــأن الخلـــق كلّهـــم هبـــاء   فــلا صــور ولا صــوت يعيــد
لمـاذا لـست أهـوى منـك قربـاً   وأقنـــع بالخيـــال فـــلا أزيـــد
أأنـت مـن الألـى عُبـدوا قـديماً   وأغرانـــا بحـــبهم الخلـــود؟

* * *

أرق

أيهـا النـوم، يـا نجـي الليـالي   يـــا ملاكـــاً ملفّعـــاً بـــالظلال
باسطاً فـي الـدجى جناحيـه رفقاً   مغمـض الطـرف أبكمـاً لا يبـالي
تجـذب الـستر وهـو داجٍ كثيـف   يحجب الـروع عن قلـوب الرجـال
فــي غطـيطٍ يمـوج حلمــاً رقيقـاً   يتـراءى فـي مثـل ضـوء الهـلال
أيـــدي أفلتـــت جناحـــك وهنـــاً   أم قطعت العهـود قطـع الحبـال؟
أم غزت ريشك العوادي انتهاباً   معجبــات بمــا لـــه مــن جمــال
يـا نعيمـاً فـي شـكل مـوت مريـع   وحيـاة فـي مثـل صـمت الـزوال
عد إلـى الجفن بعد هجر مرير   واحمـل الـروح فــي ربـوع الخيـال.

* * *

ورقـــاء

طـــرب القلـــب وملّتـــه الهمـــوم

فـــإذا الورقـــاء فـــي الليـــل تهـــيم

مـــا لهـــا صـــامتة قـــد ذهلـــت

عـن فنـون الـروض حيـرى لا تـريم

لـــو تغنينـــا علـــى وقـــع النـــدى

أنـــصت البـــدر إليهـــا والنجـــوم

أتراهـــا اليـــوم ضـــلّت ســـيرها

أم بهـــا فـــي صـــمتها وجـــد قـــديم

أم جفاهـــا الحـــب حتـــى لا صـــدى

لأغانيهـــــــــا ولا رد كـــــــــريم

إيـــه يـــا ورقـــاء مـــا شـــاء الهـــوى

فـــشقاء الحـــب فـــي الـــدنيا نعـــيم

فغـــداً ترجــــع ألحــــان الـــــصبا

تقعـــد الأكـــوان شـــوقاً وتقــــيم

يطلــع الفجــر علــى هــام الربــى

لاثمــاً فــي كــل حــسن مــا يــروم

فـــــشفاه قــــد تنــــدّت نـــــشوة

وعيــون قــد جلــت عنهــا الغيــوم

تهـــــرع الأســـــراب لاســــــتقباله

فــــي هتـــاف وقعـــه حلـــو رحـــيم

* * *

في الراديـو

أنـــام والأنغـــام فـــي مـــسمعي　　　تدوي وحرّ الشوق في أضلعي

تـــردد الأصـــداء مخـــضوبة　　　بمـــا نـــزا فـــي كبـــد موجـــعِ

علـى جنـاح الليـل فـي وحـشة　　　معقـودة الأطـراف ليـست تعـي

إذا أطـــل الـــنجم مـــن كـــوّة　　　لاح خيـال كـان يـصبو معـي

وإن أهابـت بـسمة فـي الـدجى　　　ذابت على لحن الأسى المودعِ

هل في حنين العود من ساجعٍ　　　يـوحي إليـه الأسـر بـالممتعِ

* * *

يـا صـلتي بـالكون فـي وحـدتي　　　إذا دجـا ليـل النـوى الأروعِ

مـدّي بهـذا الـصوت يـا طالمـا　　　حملتنـي إلـى المـلأ الأرفـعِ

أكـلُّ مـا يبقيـه دهـر لنـا　　　سلك مـن الفـولاذ فـي المخـدعِ؟

* * *

تعالـــي

تعـــالي إلـــى الروضـــة الزاهيـــهْ نغـــــرد وأطيارهــــا الــــشاديهْ

فقـــد نـــورت بكـــؤوس الـــشذا فقــــاقيع عربيــــدة غاويــــهْ

مهفهفـــــة مــــلء أردانهـــــا عبيـــر تـــنفّس عـــن شـــاكيهْ

بــــروض أزاهيــــره أشـــــبهت عيونـــاً تطـــل علـــى الـــساقيهْ

تعاليـــت يـــا معجـــزات الثـــرى هيامــــاً بأســــرارك الخافيــــهْ

بروحــــي عهــــدك إذ نلتقـــــي علـــى ضـــفة النبعـــة الداويـــهْ

تزقـــزق فيهـــا الأمـــاني التـــي حــــسبنا أناشــــيدها باقيــــهْ

إذا مـــا نـــسيتِ عهـــود الهـــوى فلــــست لعهــــدك بالناســــيهْ

* * *

وردة الصيف الأخيرة

يقولـون الـصبا روض خـصيب　　　وأيـن الـروض فـي هذا العراء؟
فـــلا ظـــل ولا ورق يقينـــــي　　　هزيم الرعد فـي حلـك المـساء
ولا أنـــس يطيـــب ولا حبيـــب　　　يـرد بجنحـه عـصف الـشقاء
ولا قلـب يجيـب صـدى حنينـي　　　ولا عـين تتـوق إلـى لقـائي
كـأني للنوائـب صـرت أهــلاً　　　أداوي داءهــا فيعــزّ دائـــي
بـذا تقـضي الـسماء فـلا مـردّ　　　وهل مـن نـاقض حكم الـسماء
على روض الشباب نثرت دمعي　　　عـسى تخـضر أعـواد الرجـاء

* * *

المصادر

١- ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر . منشورات جمعية الرابطة الثقافية النسائية بدمشق ١٩٤٤.

٢- دوحة الذكرى . مختارات من شعر ونثر ماري عجمي . وزارة الثقافة . دمشق ١٩٦٩.

٣- مجلة القيثارة . اللاذقية ١٩٤٧.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة